خيال × خيال

أبواب المستحيل الخمسة

تأليف : محمود قاسم

دار الشروق

أبواب السجل الخمسة

الطبعـــة الأولـى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص ب . ٣٣ البانوراما - تليفون ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت . ص ب . ٨٠٦٤ - هاتف . ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

(١)

فى صباح ذلك اليـوم حدث اجتماع طارئ ، لم يسبق لـه مثيل فى مدينة الحكايات .

إنه الاجتماع الأول من نوعه . ربما منـذ زمن طويل . منذ أن تم إنشاء أول مبنى فى المدينة . .

ولذا ، كـان على كل مـن استلـم النـداء أن يلبى ، ويسرع فى التـو واللحظـة إلى قـاعة الاجتماعـات الغـامضـة ، وأن يترك أى مغامرة يقوم بها ، مهما كانت درجة الإثارة التى وصل إليها فى تلك المغامرة .

وأمام باب قاعة الاجتماع التقـى البعض ، ربما لأول مرة وجها لوجه ، وبدت الأسئلة كثيرة فى عيون الجميع .

● ترى ماذا هناك ؟

● هل أعلنت حالة الطوارئ ؟

● هل هناك غزو إشعاعى على المدينة ؟

كان كل منهم يعرف أنه يؤدى مهامه على خير وجه ، ولذا . فإن مـدينة الحكـايات هى المدينـة النموذجيـة الأولى فى الكون . فأبنـاؤها يؤدون مهامهـم ويعودون دائما سالمين بعد أن ينتهـوا من

مغامـراتهم المثيرة من نـاحية ، وبعد أن يطمئنـوا أن مافعلـوه كان مصدر بهجة لكل قراء الحكايات فى العالم .

إذن ، هذا هو أول اجتماع من نوعه فى المدينة . .

وراح يتوافـد إلى القاعة ، أشهـر أبطال الحكـايات الذيـن تم استدعاؤهم بالاسم ، دون غيرهم ، ولذا فإن أى شخص حاضر فى تلك اللحظـة ، كان يمكنه أن يرى سنـدباد بملابسه العـربية الجميلة ، وعلاء الدين يتأبـط مصباحه السحرى ، وعنترة ، وقد ضم قبضته على سيفه كأنه يستعد لنزال حاسم ، أو جحا يطلق تعليقاته البسيطة المليئة بالحكمة والسذاجة .

ورغم أن الاجتماع كـان مقصورا على أسماء بعينهـا من أبنـاء المدينة ، فإن عدد الحاضرين كـان كبيراً بناء على طلب « الرجل الشفاف» الذى يتولى إدارة المدينـة فى الدورة الانتخابية الأخيرة .
لـذا ، فيمكن للمـرء أن يميـز أبطال الحكـايـات مثـل « الزيـر سالم» ، و «أم الغولـة » ، و « على الزيبق » ، و«حاتـم الطائى» ، و«ست الحسن » ونفر آخر من أبناء المدينة .

علق جحا وهو يفترش الأرض رغم فخامة المكان :

ـ لـو جلست فوق أحد هـذه المقاعد . فلن أكـون « جحا » بالتأكيد .

وقبل أن ينتهى من جملته استرعى انتباهه شيء هام .

(٢)

على لوحة الإشارات الضوئية ، كانت هناك دلائل على أن الاجتماع سوف يبدأ فى التو واللحظة ، وأن على الجميع أن يلزموا أماكنهم التى اختاروها .

وعندما انطلقت الدقات الثلاث فى المكان . ظهر « الرجل الشفاف » .

لم يره أحد . . لكن الجميع أحس بوجوده . كان يجلس هناك ، فوق مقعد غريب الشكل ، كلما تحرك ، أحس المجتمعون أنه موجود . جاء صوته جامداً ، لايعبر عن أى من مشاعر القلق ، والتساؤلات التى لعلها تدور فى داخله .

وكان تفسير ذلك سهلا للغاية . فقد ظهرت كلماته فى أيضا على شاشة لوحة الإشارات . فلأنه شفاف ، فإن كلامه يبدو كأنه خارج من الفراغ ولو انتابه القلق خرجت الكلمات مهزوزة ، أو مائلة . كما تبدو الكلمات متقطعة .

جاءت الكلمات حادة :

ـ اليوم ، نجتمع من أجل أمر هام . فقد جاءتنا معلومات تفيد أن هناك مؤامرة كبرى على أصدقائنا القراء . وإن ماسوف

يحدث سيغير العالم بشكل لانتوقعه ، نحـن أبطال الحكايات . وصانعى الحضارات منذ ألوف السنين .

واختفت الكلمات فجـأة ، كأنما أراد « الـرجل الشفـاف » أن يلتقط أنفاسه . ثم عاودت الظهور مرة أخرى :

ـ يجب أن نتكاتف جميعا ، بخبرتنا وتجاربنا لمواجهة قوى الشر. من أجل منع هذه المؤامرة . .

يا إلهى . . إذن فالأمـر جسيم فعلا ، فالرجـل الشفاف يطلب مـن أبرز أبنـاء المدينـة أن يتكـاتفوا مـن أجـل التصـدى للمؤامـرة المرتقبة . . لكن ترى أى مؤامرة هى ؟

لا أحد يعلم . .

(٣)

فى صباح نفس اليوم ، بدا كل شـىء هادئا بين أبناء مـدرسة النهضة . فقـد قضى الجميع يـوما دراسيا عاديـا خاليا مـن أية مفاجآت . ولكن فى أثناء الفسحة التقى ستة من الزملاء الذين يمثلـون مـراحـل الـدراسة فى المدرسـة . كـان عليهـم أن يلتقـوا بالأستـاذ حسام الديـن من أجل معرفـة الجديد فى أمر المسـابقة الثقافية الكبرى التى ستقام فى نهاية الأسبوع بين مدرستهم ومدرسة « الصباح» .

كان الجميع يعرف أن مسابقة هذا العام يجب أن تكون حاسمة لصالحهم . ففى العام الماضى أثير جدل ضخم فى الثوانى الأخيرة للمسابقة ، حين نطق متباريان بالحل فى نفس اللحظة . واختلفت الآراء حول نتائج المسابقة ، حيث أكد أبناء مدرسة «النهضة» أن «مراد» التلميذ المتسابق من مدرسة «الصباح» قد نطق الكلمة ناقصة حرفا متحركا ، أما زميلهم «كريم» فقد نطق الكلمة المطلوبة صحيحة . ومالبث النقاش أن اشتد ، واثبت مشجعو فريق «الصباح» أن «كريم» أيضاً نطق الكلمة ناقصة حرفاً ساكناً .

ولم يستطع أحد أن يحسم نتائج المسابقة الصحيحة ، حتى الكومبيوتر الذى كان يتلقى الإجابات ، ويقوم على الفور بإعلان النتائج ، والحلول الصحيحة ، قد وقف عاجزاً أمام هذه المشكلة .

وكان على الطرفين أن يتساويا فى النتائج ، وحتى إشعار آخر، أى حتى مسابقة هذا العام . .

لذا ، بدأت المسابقة ساخنة منذ أن أعلنت نتائج العام الماضى ، واشتدت سخونة مع توافد الخطابات والمراسلات على الإدارة التعليمية ، ومع إعلان التلفاز عن نقله لوقائع المسابقة

المنتظرة ، والتى ستقام هذه المرة فى أكبر ستاد فى المدينة ، أسوة بمباريات الكرة .

لذا ، كان الاجتماع ساخناً ، مع الأستاذ حسام الدين . واكتسى بسرية شديدة ، كأنهم يضعون الخطط الاستراتيجية . وهم مقبلون على مجابهة حقيقية .

ووسط هذا الاجتماع المثير ، لم يكن أحد يدرى أن هناك أكثر من اجتماع يتم فى نفس اللحظات ، تدور جميعها حول المسابقة المثيرة . .

(٤)

هناك ، على مسافة ليست بعيدة من مدينة الحكايات تقع مدينة أخرى ، داكنة اللون ، ومكفهرة السحب ، يعرفها أبناؤها باسم « المدينة الزرقاء » ، والمتجول فى شوارع هذه المدينة فى أى وقت يشعر أنه يعيش بين الأشباح . فالطرق خالية ، وملابس الناس غريبة ، وهم يهرعون فى غدواتهم كأنهم خائفون من شىء . أو كأنهم يهربون من الآخرين .

هذه المدينة التى لم تعرف الضوء قط ، تشهد فى تلك اللحظات اجتماعا مثيرا ومليئا بالغموض ، يتم عقده أيضا بناء على أمر عاجل من زعيم المدينة « الشبح الأزرق » الذى جلس

أمام خمسة من أعوانه فى غرفته الداكنة ، وقد انطلقت ألوان حمراء من عينيه وهو يتكلم ، نجحت فى أن تخفى ملامح وجهه ، وبدت ملامح الغضب على لكنته ، وهو يقول :

ـ لن أسمح أبدا بأى شىء من هذا السخف . . مهما كان الثمن . . سوف نفسد كل شىء . . شاء الجميع أم أبى . . ؟

كان أبناء المدينة الزرقاء يعرفون أن كل كلمة يقولها الزعيم بمثابة أمر مقدس ، لايجب الخروج عليه ، لذا كان عليهم أن يطيعوا . وهم يسجلون أوامره فى النوتة الالكترونية . إنه الشخص الوحيد الذى عليه أن يتكلم فى كل الأجتماعات . وعلى الباقين الطاعة . لايمكن لأحد أن يناقش ، أو أن يسأل . فكل الأسئلة وكل الإجابات تجئ فقط على لسان « الشبح الأزرق » . . ومن هنا بدت أهمية هذا اللقاء العاجل ، والساخن .

قال « الشبح الأزرق » . وقد خرجت كلماته على شاشة فوق بطنه :

ـ علينا أن نخلص البشر من الأشياء التى تفسد عقولهم . الثقافة والمعرفة . فكلما عرف البشر الكثير ، فسدت أخلاقهم . . ونحن نريدهم على الطبيعة ، على السجية . . مفهوم ؟!!

كان رجلا غريبا ، ذلك « الشبح الأزرق » ، فهو يتكلم كأنه ممثل ، يؤدى دوره جيدا ، يرفع صوته ويخفضه ، ويتعمد أن

يكون مؤثـرا على مستمعيه ، ليس فقط كى يطيعوا كـلامه ، بل كى يبـدو كأنه يقنعهم ، وأن كـلامه مقنع . . ولذا أكمـل كلماته قائلا :

ـ طبعـا مفهوم . . ولذا وراءنـا واجب مقـدس . . أن نفسد كل شيء . . كل شيء . . ولارجعة فى ذلك .

(٥)

بدا النقـاش ساخنـا ، ومليئا بـالحمية فى مـدينة الحكـايات . واشترك الجميع فى جذب أطراف الحديث ، وبدا الأمر جسيما فعلا على مستقبـل مدينـة الحكايـات ، حيـث وردت المعلومـات إلى «الرجـل الشفاف» بـأن هناك مؤامـرة حقيقية يدبـرها زعيـم المدينة الزرقاء ضد عقول البشر ، وأنه يخطط لطمس الكتب وكافة ألوان المعرفة من مصادرها ، وخاصة فى الكتب ، وأجهزة الكومبيوتر .

ومـا إن عرف أبطـال مـدينة الحكـايـات النبـأ ، حتى علـت الهمهمات ، وساد الاستنكار ، ليس فقط لأن طمس المعرفة سوف يهدد مستقبـل مـدينـة الحكـايات تمامـا ، وسـوف يلغيهـا مـن الوجـود، بل أيضاً لأن مايـدبر الآن فى المدينة الـزرقاء ، سيغير تماما من وجـه الحياة على الأرض . . فليس الإنسان سـوى حيوان قارئ . وليست القـراءة سوى غريزة إنسـانية تولدت مـع الإنسان

مثل بقية غرائزه ، كالطموح ، والأكل ، والأمومة وغيرها . ولذا فإن الله سبحانه وتعالى خاطب رسولة الكريم ﷺ أولا بكلمة «اقرأ» . .

تساءل جحا :

ـ هل يمكن أن يحدث ذلك حقا ؟ . إنه لأمر خطير ! !

ردَّ سندباد طبعا . ولن يعرف الناس حكاياتى عن رحلاتى الكثيرة فى البحر ، والبر . .

تمتمت أم الغولة : وأنا . . لن أثير خوف الأطفال . . مساكين الأطفال لن يعرفوا الخوف بعد اليوم . ومساكين الأمهات لن يجدن شيئا يثرن به خوف الأبناء ، من أجل . .

هنا قاطعت « ست الحسن » قائلة :

ـ وأنا . . لست متضايقة لأننى سأختفى من الحكايات . . بل لأن الناس سيفتقدون القصص الجميلة الرقيقة المليئة بالنبل عن الفارس النبيل الذى سوف ينقذنى . .

هنا جاءت عبارات « الرجل الشفاف » على الشاشة ، وكأنها حازمة :

ـ اسمعوا . . لسنا هنا من أجل أن نتباكى على الغد . . بل لنواجه الموقف . . وبكل حزم .

تساءل « حاتم الطائى » ، المشهور بالكرم :

ـ إذن ، يجب أن ندعو أبناء « المدينة الزرقاء » على وليمة . . لعلهم . . .

وفجأة أحس «حاتم الطائى » أنه قد قال كلاما ليس فى موضعه . . فسكت على الفور وظهرت الحيرة واضحة على وجوه الجميع . .

(٦)

ثم بدت المفاجأة على وجوه الجميع . .

صرخ كريم فجأة : يا إلهى . . الصفحة بيضاء . .

لم يفهم أحد فى بادئ الأمر ماذا يقصد كريم ، وهو يفتح أحد الكتب التى عليه أن يقرأها من أجل الاستعداد لمسابقة القراءة الكبرى ، التى سوف تعقد بعد أيام قليلة . . لكن صرخة كريم أثارت الجميع ، فمن المعروف أنه شخص رقيق مثقف يتسم بالهدوء والبساطة ، وهو قليل الانفعال . . ولذا فعندما كرر الجملة مرة أخرة « الصفحة بيضاء . . انظروا » التفت بعض الزملاء الجالسين فى المكتبة إليه . وكأنهم يتساءلون عما جرى له حقيقة . وقف ممسكا بالكتاب بين يديه ، وراح يشير إليهم أن ينظروا . . ردت مها :



ـ إنها غلطة مطبعية . . أرجوك لاتصرخ مرة ثانية .

راح كريم يقلب صفحات الكتاب ويتكلم بكل حماس : الكتاب كله غلطة مطبعية . . انظروا .

وكان لابد على الجميع أن ينظر . فهذا كتاب غريب حقا ، كل صفحاته بيضاء . . وقبل أن يهتف شريف بكلمة ، جاءت أصوات من أطراف المكان تعلق بنفس الدهشة :

ـ شيء غريب . . الكتب بيضاء تماما . . كل الصفحات بيضاء .

وسرعان ماساد الهرج والمرج فى المكتبة ، وأحس الأستاذ حسام الدين بدهشة غريبة وهو يحاول أن يتأكد من صحة ماحدث . قلب فى كتابه ثم فى كتاب آخر ، وفى مجلد ، وقاموس . وموسوعة . . وللأسف كانت الكلمات كلها قد اختفت ، وكأنها قد هربت فجأة . . ردد وكأن ذهولا أصابه :

ـ شيء غريب . إنه الجنون !!

ردد عماد : وماذا يهم ؟ نتفرج على التلفاز .

قال كريم وقد كسا الحزن لكنته : لا . . كله إلا الكتاب . . أنت لاتعرف . . لأنك لاتقرأ .

هنا أحس عماد كأن « كريم » يسخر منه حقيقة ، فانتصب فى مكانه ، ونظر إليه بعينين ملأهما الغضب الشديد .

(٧)

وسرعان ماسرى الخبر فى كل مكـان . . فقد اختفت الكلمات المكتوبـةفى كل مكان . فى الكتـب ، والمجلات ، وكـراسات التلاميذ ، والصحف ، وأيضا على شاشات الكومبيوتر . .

وأحس النـاس وهم يسمعون الخبر لأول مـرة كأن مـن يبلغهم بذلك يردد كذبة أبريل ، أو يحاول أن يكذب لأول مرة ، فلايبدو محترفا ، أو حاذقا فى الموضوع الذى يكذب فيه ، لكن كان على كل شخص أن يتحقق بنفسه ، لم يكن الأمر صعبا ، أو عسيرا . فقط عليـه أن يفتح أى كتـاب كى يتحقـق من الأمـر . . وكى يتأكد أكثر ، عليه أن يفتح صفحات كتاب آخر . . بل عشرات من الكتب . بل إن أيا من المثقفين الذين يمتلكون مكتبة ضخمة كان عليـه أن يصدق بعد أن تصفـح عشرات الألوف مـن الكتب والمجلدات الضخمة ، ومع ذلك ردد :

ـ أكيد . . هناك مؤامرة علىّ أنا بالذات .

وتباينـت التفسيرات بين الناس . ولم يستطـع أحد أن يعـرف ماذا حدث بالضبط . . خاصـة أن الصحف قد اختفت ، وهى التى كان الجميـع قد اعتاد أن يعرف منها تفاصيـل الأحداث التى يسمعونها فى الإذاعة ، أو فى محطات التلفاز .

ووسط هذا الجو المحموم ، المليء بـالتساؤلات دار هناك سؤال في المدينة :

ـ ترى هل ستقام المسابقة الثقافية . . وكيف ؟

كـان من الـواضـح أن المسـابقة لـن تقـام أبـداً فى ظل هـذه الظروف . وأنه يجب إلغاؤهـا . . ووسط هذا الجو ، راح البعض يدعى أن مشجعى فريقى مدرسة « الصباح » ومدرسة « النهضة » هم الذين وراء المؤامرة .

ووسط هذا الجو الغريب ، ظهـر فى المدينة رجل عجوز . . لا أحد يعرف من أين جاء . .

(٨)

فى «مدينـة الحكايات » دارت منـاقشات عـاصفة فى الاجتماع الطارئ ، خاصة بعد أن وصلـت الأنباء إبان انعقاد الاجتماع أن الكلمات المطبـوعـة اختفت تمامـا مـن فـوق صفحـات الكتـب والصحف والكومبيوتر .

وسرت همهمات الغضب ، وأحس أبناء « مدينة الحكايات » أن ماضيهم وتراثهم اختفيا فى لحظة ، وأنهم هكذا محكوم عليهم بالموت الحقيقى ، وأن الناس لن يعرفـوهـم بعد ذلك قط ، ولن يقرءوا المزيد من المغامرات التى يقومون بها .

لذا ، هب عنترة من مكانه ، وأشهر سيفه ، وقال :

ـ يجب أن أذهب ، سوف أحطم رأس « الشبح الأزرق» . .

وسرعان ماجاءت الإجابة من « الرجل الشفاف » :

ـ « الشبح الأزرق » لايموت بالسيف . .

تنهد عنترة ثم سكت . ووضع سيفه مرة أخرى فى جرابه . . ثم جلس فى مكانه ، بينما هب « علاء الدين » وقال ، وهو يمسك المصباح السحرى :

ـ سوف أطلب من الجن أن يعيد الكلمات مرة أخرى . .

وجاء الرد :

ـ لقد أُرهق الجن بالطلبات . فبنى القصور والقلاع . . وهو الآن يشعر بالتعب . .

هنا تدخل جحا ، وقال :

ـ أنا شخصيا لا أستطيع أن أفعل شيئا فى مثل هذه الأمر . . سوى أن أسخر من نفسى ، ومن الكتب الخالية من الكلمات .

ورغم حرارة الموقف ، وسخونته ، فإن ابتسامة شاحبة علت وجوه الحاضرين ، وبدا الموقف مثيراً للحيرة ، فكلما اقترح شخص من أبطال الحكايات اقتراحا كى يتدخل لحل المشكلة . كانت الإجابة مخيبة للآمال . . فلاشك أن الجميع الآن أمامهم

مشكلة عويصة لم يسبق لأحد منهم أن قابلها فى مئات الحكايات التى عاشها كل منهم من قبل . . فهل اختفت الكلمات من قبل . . ؟ بالطبع لا . .

ومر الوقت . . وبدا كأن على الجميع أن يصل إلى حل . بعد أن نفد الصبر ، واشتدت الحيلة ، ولم يصل أحد إلى قرار بالمرة . .

وفى النهاية جاء على شريط الجدران جملة قصيرة لم يفهم أحد معناها بالضبط :

« على بطل الفنطازيا الجديد أن يظهر » .

(٩)

وظهر فى المدينة رجل عجوز يحمل مخلاة بيضاء صغيرة الحجم ، وإن بدت ثقيلة على ظهره ، وقف إلى جوار سور إحدى المدارس ، وراح يخرج منها بعض الكتب ، وسرعان ما التف الصغار حوله . وتصور البعض منهم أن جنونا أصاب هذا الرجل بعد أن اختفت الكلمات من الكتب ، وتحولت المدينة إلى كتلة من السكون خيم عليها البرود . .

قال أحد التلاميذ مداعباً :

ـ بالتأكيد . الكلمات هنا لم تضع .



ابتسم العجوز ، وهو يفتح أحد الكتب وقال :

ـ انظروا هذه الصور الجميلة . .

وسرت الدهشة فى عيون الصغار وهم يرون شيئا ما فى الصفحات ، رسوم وكتابات ، لكن سرعان مازالت الدهشة من فوق الوجوه ، فلم تكن الكتابة سوى رموز ليست لها معنى .

قال أحد الصغار :

ـ إنها طلاسم . !!

رد العجوز : لكنها كتابات . . الكتابة لم تختف بعد !!

سأل صبى آخر : ماذا نقصد . ؟

رد العجوز : عرفت أن الكلمة المطبوعة ضاعت هنا ، وجئت لأتقصى الحقيقة ، ولكن ما إن وصلت هذه المدينة حتى اكتشفت أن الكلمات قد تغيرت أشكالها .

سأل صغير والدهشة لاتزال ترتسم عليه :

ـ هل تقصد أن الكلمات ضاعت هنا فقط . . ؟

رد العجوز : لقد طفت بلاد الشرق ، وبلاد الغرب . فلم أر مثل هذه الظاهرة إلا هنا . .

تمتم أحد الصغار :

ـ إذن ، يجب أن نخبر المسئولين . !!

وهنا ارتجف العجوز ، وهو يحس أنه سيكـون موضع تساؤل من قبل المسئولين . .

(١٠)

وسرعان ماسيق العجوز إلى مكتب محافظ المدينة ، وامتلأت الشوارع بـالناس وهم يسيرون وراء الـرجل ، وسرعان مـاجاءت الكاميرات تصور ذلك الرجل الغريب الذى يصر أن يحمل مخلاه البيضـاء فوق ظهـره ، ورأى الناس فى البيـوت شكل العجـوز . وردد البعض منهم :

ـ إنـه أشبه بعبيط الحكـايات . . قـد ينطق بالحكمـة فى وقت ما . . لكن أحدا لن يفهمها .

وامتـلأت المدينة بتسـاؤلات جـديدة ، بـالإضـافة إلى مئـات التساؤلات التـى رددها الجميع منذ أن اختفـت الكلمات . . لقد مرت أربـع وعشرون ساعـة لا أكثر على ذلـك الحادث المهيب . ومع ذلك أحس الناس كأن دهرا بأكملة قد مر . وأن القرون قد أصابت الجميع بشيخوخة مبكرة . .

ولذا احتشد الناس فى كل مكان أمام أجهزة التلفاز ليشاهدوا وقائع لقاء هذا العجوز بالسيد المحافظ .

رأى الناس المحافظ بنفسه يتأهب للقاء العجوز ، كأنه أحس بسحر ما ينطلق منه ، وراح المحافظ يطبق بكلتا يديه على يد العجوز ، لم ينتبه الناس إلى الدهشة التى علت وجه الرجل ، ولكنه هو الوحيد الذى أحس بشىء غريب فى يد هذا العجوز ، وهو يصافحه .

أحس المحافظ كأن عليه أن يبث الطمأنينة فى قلب هذا العجوز الذى سبقته كلماته إليه قبل أن يلقاه ، فقد عرف أن العجوز يحمل مخلاة مليئة بالكتب ، وأنه كلما أفرغ المخلاة مما تحمله امتلأت مرة أخرى . . ولكن المشكلة أن هذه الكتب تبدو كأنها مكتوبة بلغة مشفرة ، وأنها فى حاجة إلى شخص يفهم فى حل الشفرات .

سأل المحافظ العجوز :

ـ هل أنت متأكد أن الكلمات لم تختف من كل الكتب فى المدن التى حولنا ؟

هز العجوز رأسه بتمهل وكأنه يؤكد على إجابته .

سأل المحافظ ضيفه العجوز :

ـ ما رأيك إذن فيما حدث . . لماذا اختفت الكلمات ؟

وبكل ثقة وحكمة رد العجوز :

ـ سيدى ، ما حدث فى مدينتكم شىء جسيم حقا . فالكلمة شىء ثمين . بل هى من أثمن الأشيـاء فى الوجود . إذن فلابد أن ضياعها يعنى أن هناك شيئا غير طبيعى قد حدث .

سأل المحافظ : ماهو هذا الشىء فى رأيك ؟

رد العجوز :

ـ سيدى المحافظ . . الكلمة ليست مجرد حروف . . وأهم من الكلمة هو ما وراءها . . فالكلمة « معنى » . . وضياع الكلمة . . ضياع للمعنى . .

بدا المحافظ كأن الطير قد حـط عليه ، فقد كان العجوز ينطق بالحكمة فعلا ، بدت ألفاظه مليئة بالثقة ، والمرارة . وهو يقول :

ـ إذن . . لابد ان نبحث عن « المعنـى » ، قبل بأن نبحث عن الكلمة . .

وقبـل أن يفيـق المحافـظ مـن دهشتـه ، وقبل أن يفيـق جميـع المشـاهديـن لـوقائع هـذا اللقاء فى كـل مكـان ، سواء فى مكتـب المحافظ ، أو على شاشات التلفاز ، كان العجوز قد اختفى . .

وصارت الدهشة أشد ، سادت التساؤلات فى كل مكان :

ـ ترى من هو ذلك العجوز ، وأين اختفى ؟

(١١)

وسرعان ما ظهر العجوز أمام مبنى المحافظة . رآه كريم يحمل مخلاه ، فأسرع خلفه وسأله :

- إلى أين أنت ذاهب يا سيدى العجوز . . ؟

التفت العجوز إلى كريم ، وابتسم فى هدوء شديد . . وبحروف بطيئة الإيقاع قال :

- أفكر فى أن أبحث عن الكلمة . . أقصد عن « المعنى » . .

تساءل كريم : هل هناك مكان يمكن أن تبحث فيه عن الكلمة ؟

هز رأسه بالإيجاب وقال : فتش حولك . . وسوف تجد ماتبحث عنه .

أحس كريم أنه أمام شخص غريب ، يختلف عن كل من سمع عنهم . وكل من قابلهم من قبل ، فهو ينطق بكلمات ذات مدلولات عديدة . لذا قال :

- إنهم يبحثون عنك . . عليك أن تعود . .

رد الرجل : عليهم أيضا أن يبحثوا عن الكلمة الضائعة . لعلها قريبة .

وبدا الحزن على وجه كريم ، وتمتم قائلا :

ـ خسارة . . لقد كنا نعد أنفسنا لأن نكسب الجائزة القومية للمعلومات العامة . .

تساءل العجوز : إذن ، أنت صاحب مصلحة فى عودة الكلمة . . ؟

رد كريم بحماس : طبعا !!

قال العجوز : إذن علينا أن نعيدها جميعا . .

تساءل كريم من جديد : لكن . . أين هى ؟

رد الرجل : إنها هناك . .

ـ أين . . ؟

ـ فى مكان بعيد . لقد ضاعت لأسباب . . وعلينا أن نعيدها ولكن الأمر ليس سهلا . .

ـ ماذا كانت الأسباب ؟

ـ اعتقد أن الناس لاتحترم الكلمة . وتتصورها شيئا هينا وسهلا . وأيضا المعنى . .

ـ كلامك غريب . .

ـ لكنه صحيح . . أليس كذلك . . ؟

وهز كريم رأسه . إلا أن العجوز ابتسم وراح يربت على شعر كريم الخشن . وهو يتأمل ملامحه . فقد كان وجهه مستديرا .

يدل على طيبة ، وذكاء ، أما جسمه ، فقد كان بدينا ، ويبدو قصيراً إلى حد ما . . قال العجوز وهو يرى الحزن باديا على وجه كريم :

ـ هل توافق أن تأتى معى . . ؟

(١٢)

وسرعان ماعقد اجتماع جديد فى « المدينة الزرقاء » . ووقف « الشبح الأزرق » أمام رجاله وقد امتلأ بالغضب والثورة ، وأمسك بيده عصا صغيرة كلما أشار إلى شىء انطلق منها شعاع أصفر لامع يبدو واضحا وسط عتمة الجو الذى يخيم على المكان . وعندما تكلم ظهرت عباراته على الشاشة :

ـ لقد حدث مالم يكن فى الحسبان . . هل تعرفون ماذا ؟

لم يرد أحد كالعادة ، فعلى المستمعين فقط أن يستمعوا وأن يهزوا رؤوسهم . فأكمل قائلا :

ـ إنها « مدينة الحكايات » . . لقد قررت أن تتدخل وهذا شىء غير متوقع . . لكننى عملت حسابى . فأنا أعرف أنه من بين شخصيات الحكايات ، لايمكن أن يوجد أحد يمكنه أن يعيد الكلمة من فوق « الجبل الأحمر » . لكننى أحس بالقلق من هذا الشخص الذى أرسلوه مساء اليوم إلى المدينة . . إنه رجل

عجـوز ، لكنه ينطـق بكلمات غريبة ، وهو الآن يحث النـاس أن يختاروا من يذهبون معه إلى حيث توجد « الكلمة الضائعة » .

وتوقفت كلمات « الشبح الأزرق » . . ثم راح يتحرك فى الدائرة الصغيرة التى التف رجاله حولها . وتساءل بصوت مسموع :

ـ إنـه عجوز ، ومع ذلـك فأنـا لا أستريح له . إنـه أول مرة يظهـر فى « مـدينـة الحكـايات » . . لقـد قـرروا أن يتـدخلـوا فى شئونى ، يجب أن أفعل شيئا . .

ثم نظـر إلى رجالـه ، وكأنه يستحثهـم ، وقال بصـوت عال قليلا بدا من خلال الكلمات الغليظة التى ظهرت على الشاشة :

ـ هـه . . أشيرونى . . مـاذا أفعل ؟ . . آه . . لقـد عرفـت جيدا ماسـوف أفعله . . يجب على هذا العجوز أن يغـادر المدينة فورا . .

(١٣)

أمسك المحافظ بتلك الرسالة الغامضة التى وصلته توا ، وراح يقـرأ الكلمات المكتـوبة ، فيهـا أحـس المحـافـظ فى بدايـة الأمـر بالسعادة وهو يرى بعض الكلمات مكتوبة على المظروف وتمتم :

ـ يا إلهى . لقد عادت الكلمة . .



وبسرعة فض المظروف وأخرج الرسالة ، فاشتدت فرحته للحظات ، ولكن مالبثت الفرحة أن تلاشت تماما وهو يقرأ مضمون الرسالة .

السيد المحافظ . .

هذه رسالة من « مدينة الظلمات الزرقاء » . . يكتبها الزعيم الأوحد « الشبح الأزرق » . ليس لدينا سوى أن نهدد ونقول : «لاتنبشوا عن الكلمة . فهى لن تعود . فالكلمة أصبحت بلا معنى ، ولم تعد تعنى سوى الشر . الكلمة هى الشر . . انتهى» . .

كانت رسالة غريبة حقا ! !

ليس فقط فى كلماتها الغريبة ، والتهديد الشرس الذى تتضمنه ، بل أيضا لأن كلمات الرسالة سرعان ماتلاشت فور أن يلتهم المحافظ السطور القليلة بعينيه . وما إن رفع الرسالة إلى مساعده ، حتى وجدها وريقة خالية تماما من أى كلمة .

بدا الموقف عصيبا . وانعكست ملامحه على وجه المحافظ الذى شعر أن الأزمة تشتد . وفى آخر لقاء عقده بالقاعة الكبرى لمبنى المحافظة رأى العجوز يعود ثانية ومعه صبى صغير بدين . وخشن الشعر . أحس المحافظ أن عليه ان يفعل شيئا . . فهل

ياترى سيقف عاجزا أمام هذا التهديد الغريب القادم من حيث لايعلم ؟

اقترب من العجوز وحياه . . ووجده يمد له بالوريقة . فأمسكها ، ابتسم ابتسامة فاترة ، وقال وهو يتأمل الوريقة :

ـ أكيد ، كانت هنا رسالة . إنها رسالة تهديد ! !

نظر إليه المحافظ بريبة ، وراحت أسئلة عديدة تتدفق فى أعماقه . أحس بالشك أن هذا العجوز وراء كل مايحدث . . أراد أن يعبر له عن وساوسه ، لكن العجوز قال :

ـ وجهك يكشف عما جاء فى هذه الرسالة . . اطمئن أيها السيد المحافظ . . فكل ماقرأته ليس سوى محاولة لتثبيط العزم . .

زمّ المحافظ شفتيه ، وكأنه يسأل عن الحل . . فقال العجوز ثانية ، وقد التف بعض موظفى المحافظة حوله :

ـ يمكننا أن نفعل كل شىء . . لكن بشرط واحد . . المشاركة .

وقبل أن يسأل أحد عما يقصده الرجل . قال كريم :

ـ أنا موافق . .

ولم يفهم أحد شيئا . .

(١٤)

بـدا الأمر مهيبـا أمـام الجميـع ، وانتشر الخبر مرة أخـرى فى المدينة ، لكنه هذه المرة ممزوج بإعـلان يطلب متطوعين من أجل السفر إلى مكان بعيد من أجل البحث عن الكلمة الضائعة .

ولم يكـن أحد يتصـور نتيجـة ذلـك الإعلان . . فقـد أحـس البعـض بـالخوف والارتيـاب مـن الـرحيـل إلى مكـان مجهـول غير معروف ، فلا أحـد يعرف بالضبط أيـن يوجد ذلك المكـان البعيد ولاماذا سيحـدث فيه ، لكـن هول الأمر دفـع بالآلاف مـن أبناء المدينـة مـن جميـع الأعمار ، خـاصـة الشبـاب ، والصبيـة لأن يتقدموا .

وأمام جمع غفير من المتطوعين ، وقف العجوز حاملا « مخلاه» البيضاء يتحدث إليهم ، وقال :

ـ أيها السادة ، كان الإعلان عن طلـب متطوعين بمثابة بالون اختبار لمعرفـة مدى الإحساس بأبعاد الأزمة التـى تعيشون فيها فى الظـروف الأخيرة . . لقد تصـور البعـض أن الكلمة هـى الشر . ونسوا أنها هـى الخير الحقيقى ، والمعنـى . لقد نسـى الكثيرون أنه «فى البدء كانت الكلمة » .

ـم سكت . وكأنه يستجمـع أفكاره ، إنه يعرف أن الأسلوب الذى ظهر به فجأة فى المدينة ، وسط هذا المرج الذى سادها ، قـد دفع بـالبعض أن يتصـور أنهم أمام مخبـول ، حاول استغـلال الفرصـة كى يمارس جنـونه على الآخريـن . . ومع ذلـك فعليه أن يفعل شيئا ، فلا أحد يعرف بعد من يكون . لكن لايهم من هو بالضبط ، ولكـن المهم أن يؤدى المهمة الشاقة التـى أمامه . ران صمت غريب فى المكان . وكان عليه أن يتكلم :

ــ اسمعوا أيها الأصـدقاء . لاشـك أنه لمن الشرف أن نخـرج جميعا من أجل استعادة الكلمة الضـائعة ، وماوراءها من معان . لكن علينـا أن نختار . . فالرحلـة شاقة . ويجب أن يكـون هناك هدف . .

هنا وقفت مها مع تلميذات مدرسة « النهضة » وقالت :

ـ فعلا ، يجب أن يكون هناك هدف . . وهدفى هو أن أفوز فى مسابقة القراءة على مدرسة « الصباح » .

وقبل ان تنطق بحرف الحاء كان طارق قد هب من مكانه . وقال :

ــ ولماذا لانذهـب نحـن أعضـاء فريـق المسـابقـة بمدرسـة «الصباح» ؟

وفجأة تعقد الموقف . .

(١٥)

اشتد الموقف تعقيدا بعد أن أبدى الكثيرون رغبتهم فى القيام بالمغامرة المنتظرة لاستعادة الكلمة الضائعة . حاول العجوز أن يقنعهم أن المغامرة نحو المجهول مليئة بالمخاطر الحقيقية ، وأن الراغبين فى الذهاب لن يكونوا فى نزهة ، ولكنهم سيقابلون مخاطر حقيقية .

لم يشأ العجوز أن يتحدث عن التهديدات التى ظهرت فى الفترة الأخيرة ماثلة ، خاصة فى الرسالة التى جاءت إلى المحافظ تنذره حتى فى التفكير فى البحث عن الكلمة الضائعة ، والمعانى التى ابتعدت معها .

كان من الواضح أن الكثيرين يرغبون فى المشاركة فى هذا الشرف . شرف استعادة الكلمة الضائعة . حتى هؤلاء الذين لم يكونوا ميالين إلى الاعتماد على القراءة فى ثقافتهم الخاصة . ولذا فإن المتحمسين كانوا من أعمار مختلفة ومن أجيال متلاحقة .

وكان من المفروض أن يتم حسم الموقف . بأى ثمن ، فلا وقت للثرثرة . ولذا قال العجوز :

ــ اسمحوا لى أن اختار صديقا لى ، أعجبت بموقفه ، إنه

كـريم. واسمحـوا لى أن اختار زميلتـه مها . إنهما مـن مدرسـة «النهضة» . وعضوان فى فريق المسابقة . . ومن الإنصاف أن نختار عضوين آخرين من الفريق المنافس . .

وسكت . . وكان لسكوته مغزى ، فقد أدرك الناس أن ماقاله هو عين العقـل . . وتم اختيار كـل من شريف . وطـارق من فريق « الصبـاح » المنافس . واللذيـن أبديا الحماس الشديـد من أجل الرحيل معهم .

الرحيل إلى أين ؟ . .

ذلك هـو السؤال المثير . لا أحـد يعرف إجـابته . . ولكـن البعض راح يتشكـك فى ما يمكـن أن يحدث ، خاصـة فريقـا جديـدا أطلق على نفسـه اسم « لا » ، رفـض بشكل قـاطع كـل ماحدث ورأى فيها دار فى المدينة نوعاً مـن السخرية من العقل . والمنطق .

وبينما استعد فـريق المغامريـن للرحيل إلى المجهول بحثـا عن الجبل الـذهبى ، حيـث اختفت الكلمـة هناك حسـب ادعاءات ذلك العجـوز ، كان فريـق « لا » يعد العـدة لمناهضة الـرحلة . ويقف ضدها بكل مالديه من قوة . .

يا إلهى . . يالها من رحلة مثيرة . . ترى ماذا سيحدث فيها؟

بل من يكون ذلك العجوز الذى ظهر فجأة ، هل هو موفد من المدينة الزرقاء ، يريد أن يفسد كل شىء أكثر مما هو الآن. . ؟ أم إن هناك أسرارا غامضة سوف تتكشف قريبا؟

ترى كيف سيذهب فريق المغامرين إلى الجبل الذهبى . . هل سيركبون طائرة أم صاروخا ، أم سيارة . . لكن . أين يقع هذا الجبل . . ؟

ما إن ودع سكان المدينة أبناءهم الأربعة الذين اختيروا للذهاب مع العجوز ذى المخلاة البيضاء ، وقاموا بتوصيلهم خارج حدود المدينة ، حتى وجد الخمسة أنفسهم أمام صحراءشاسعة ، مترامية الأطراف ، لايعرف أحد إلى أين يمكن أن تؤدى أو كيف لها أن تنتهى . قالت مها :

ـ إنها صحراء . لا أرى جبلا . . ولا أتوقع أن يكون هناك جبل ذهبى فى هذا المكان . . .

ابتسم العجوز ، وقال :

ـــ لاتسألى عن الخطوة الأخيرة ، وأنت لم تخطى بعد أولى الخطوات .

امتلأت عينا كريم بالتساؤلات . فأكمل العجوز :

ـ الوصول إلى الجبل الذهبى ليس أمرا سهلا . . علينا منذ الآن أن نكون أبطالا . . مثل أبطال الحكايات الذين نقرأ عنهم .

هتف طارق ، وهو يحاول أن يخفى فى داخلـه خوفا استبد به من مجهول لايعرفه : رائع . . كم أحب هذا !!

رد العجوز : قد تبدو الرحلة طـويلة . لأن الخوف سيزيد من الإحساس بطولها ، أما الشجاعة فستجعلها قصيرة للغاية . .

كان يعرف أنـه أمام أربعة من الشجعـان ، فلاشك أن مجرد موافقتهم على القيام برحلة إلى المجهول يعنى أنهم شجعان . لذا حاول أن يزيد من إحساسهم بالمسئولية ، قال :

ــ الرحلـة غير سهلـة ، ولذا علينـا جميعا أن نـرتـدى ملابـس الأبطال وأن نحمل السيوف . .

غمتم شريف : ماذا . . سيف ؟

رد العجوز بكل ثقة : طبعا . السيف . . إنه السلاح الوحيد الذى يرمز إلى النبل فى كل الحكايات . .

سأل كريم : لكن ماذا عن المسدسات والبنادق الليزر !

(١٦)

رد العجوز :

ـ هل سأل أحد منا نفسه لماذا ظل السيف سلاحاً نبيلا . . لأنه عند المبارزة فإن المنتصر هو الأكثر مهارة ، وكفاءة ، أما فى الحروب الاليكترونية الحديثة فقد تقتل عدوا لم تره قط ، ولاتعرف

لماذا تقتله . وذلك عكس المواجهة والمبارزة بالسيف .

ومن جديد بدا كلام العجوز مقنعا . . لم يكن يميل إلى الثرثرة الجوفاء ، بل إنه فى كل كلمة تخرج على شفتيه مغزى وحكمة . وبينما كان يتكلم ، أخرج من مخلاه أربعة سيوف صغيرة . وبعض الملابس الجلدية التى تسهل للأبطال الجدد القيام بمغامراتهم .

كان على الصغار أن يرتدوا ملابسهم الجديدة قبل أن يدخلوا إلى المجهول ، ولذا ، وقفوا ينظرون إلى بعضهم فى دهشة ، وهم لايعرفون ماذا يفعلون . هل يضحكون أم يكتمون مشاعرهم فى قلوبهم ، لكن المفاجأة كانت أن العجوز لم يسع لتغيير ملابسه . بل قال :

ـ الآن . سوف ندخل إلى أبواب المستحيل الخمسة .

كان من الواضح أن العجوز ، ما إن ظهر فى المدينة ، وهو لايكف عن الحديث فى أمور غريبة . ويتكلم بطريقة تثير الدهشة ، ولذا لم يكف الصبية الأربعة ، الذين لم يصبحوا اصدقاء بعد ، من فغر الأفواه لكثرة مانطق العجوز من أعاجيب ، وآخرها تلك الكلمات . .

« أبواب المستحيل الخمسة » . . ترى ماذا يقصد ؟

تساءل كريم :

ـ ماذا تعنى بالضبط ؟

رد العجوز :

ـ لاتتصوروا يا أصدقائى أن استعادة الكلمة الضائعة . ومعناها أمر سهل . إنها هناك ، محبوسة ، خلف أبواب المستحيل الخمسة .

تساءل طارق :

ـ وماهى هذه الأبواب ؟

هز الرجل رأسه فى نفور ، وقال وكأنه يتصنع الغضب :

ـ لا داعى للأسئلة . . فهكذا نضيع أوقاتنا .

تمتمت مها :

ـ لكننا نود أن نعرف . . هل نسيت أننا فريق البحث عن المعرفة ؟

حاول العجوز أن يهدئ نفسه من قلق استبد به ، وبدا كأن سؤال مها قد بدا عقلانيا فقال :

ـ كل شىء له أوان . . الآن علينا أن نجتاز الباب الأول للمستحيل .

إذن ، فهو يتكلم بشكل جدى ، وعلى الجميع أن يستعدوا معا لاجتياز باب المستحيل . . لكن أى قسوة تحيط بهم ،

فالعجوز لايريد أن يفصح عما يعرف ، لعله يود أن يثير التساؤل فى داخلهم ، أو لعله يحاول أن يخفف أثر الصدمة فى قلوبهم .

مد العجوز يده من جديد إلى داخل « مخلاه » السحرية . وأخرج شيئا أشبه بالبساط وسط دهشة الجميع ، ثم راح يفرده على الأرض . هنا هتف شريف :

ـ أظنه البساط السحرى !!

ابتسم العجوز وراح يشير إلى البساط مردداً :

ـ إنه بساط عصرى . . به إمكانات أكثر تطورا من الأبسطة التى تعرفونها فى الحكايات . .

ضحك كريم ، وقال :

ـ هو بساط نووى إذن !!

تمتم العجوز وهو يبتسم :

ـ ربما !!

قالت مها : بل بساط الكترونى . .

علق العجوز : إنه هكذا فعلا . .

(١٧)

الآن ، على الجميع أن يخترقوا خمسة أبواب يحرسها المستحيل ، ولايمكن لأحد مهما كانت قوته أن يخترقها ، وذلك من أجل الوصول إلى الجبل الذهبى .

لكن ، إذا كـان لايمكن لأحد فعلا أن يخترق هـذه الأبواب . فلم المغامرة إذن ، ولماذا يحاولون أن يصدروا أنفسهم للمخاطر . ويعرضوا أرواحهم للإزهاق ، طالما إن النتيجة معروفة سلفا . . ؟

الإجابة : ولماذا لا . . ؟

أليس هؤلاء جميعهم يبحثون عن أحد أغلى الأشياء فى الكون . عـن « المعنـى » . . إذن لابـد لهم أن يجازفـوا ، مهما كـانـت الخسائر ، ومهما كـانت النتائج . . حتـى ولو كان حـارس باب المستحيل الأول هو العملاق المسعور . .

« العملاق المسعور » !!

يالـه من اسم غـريب ، يطلقـه أبطال الحكايـات على ذلك العملاق الغريب الشكل الذى يحرس باب المستحيل الأول . إنه قابـع هناك منـذ ألوف السنين ، يتمنـى أن يقترب إنسان مـا من بابـه ، كى يلتهمه فى ثـوان معدودات . ويحولـه إلى طاقة تـزيده جنونـا . . فلأن أحـدا لايمكنه أن يقترب مـن بابـه ، فهو لايجد شخصا يـأتى إليـه ، ولا من يلتهمـه ، لذا فهـو يزداد جـوعا ، واشتياقا لأن يفكـر أحد البلهاء من الاقتراب مـن باب المستحيل الأول كى يسد به جوعه الشديد ، ولو لجزء من الثانية .

لكن ، أبداً . . لم تنتب أحد الرغبة قط أن يفعل ذلك . . لذا



فإن أيا من أبطال الحكايات لم يقتربوا من هنا قط . . وكانوا يحذرون بعضهم دوما من القدوم إلى هذه المنطقة الخطرة ، مهما كانت الأسباب . .

أول شخص كان عليه أن يجئ إلى هذه المنطقة هو العجوز - ومعه أربعة صبية يسعون ، ليس فقط لاجتياز باب المستحيل الأول . . بل خمسة أبواب كاملة . .

ترى إذن ، لمن ستكون الغلبة . وهل سيتمكن « العملاق المسعور » من إشباع نهمه الأزلى ، بابتلاع خمسة أجسام جاءت طواعية لاجتياز بابه . . ؟

(١٨)

حلق البساط العجيب على ارتفاع خفيف من سطح الأرض - بينما انتابت الصغار مشاعر غريبة ، فقد تصوروا أنفسهم نائمين يحلمون ، فكل هذه المناظر لايمكن أن تحدث إلا فى حلم ؟ أو فى قصص الفنطازيا الغريبة التى يتم فيها اختراق الزمان والمكان .

لم يكن هناك وقت للاستغراق فى الدهشة ، فما إن يخرجوا من حالة مثيرة للدهشة ، حتى يجدوا أنفسهم فى حالة أخرى . . خاصة أن البساط العجيب ما إن حلق فى الجو ، حتى تحول إلى شبه طائرة صغيرة مكيفة الهواء ، بها مقاعد وثيرة ، وأمامهم تظهر

شاشة ملونة تعكس كل مايدور من حولهم . .

لم يكن هناك سقف ، ورغم ذلك ، فإن الرياح لم تكن تحرك شعرة واحدة فى رؤوسهم . صاح طارق :

ـ لقد رأيت شيئا مماثلا عندما زرت مدينة دبزنى يوما . .

رد العجوز : لا . . هذا شىء مختلف . فنحن فى عالم حكايات الفنطازيا . .

فجأة سكت العجوز ، وراح ينظر إلى الشاشه ، وصاح :

ـ لقد ظهر . . إنه هو !!

وجحظت العيون من الخوف ، وهى ترى صاحب ذلك الوجه الذى بدا فجأة على الشاشة ، وللغرابة ، فإنه كان هناك ، يملأ المكان بجسده . . ولم تستطع الشاشة سوى أن تعكس وجهه . . هنا صاح العجوز :

ـ تماسكوا . . لاتخافوا . . إنه جبان !!

كان من البادى أن العجوز يحاول أن يزرع الثقة والطمأنينة فى قلوب الصغار ، رغم ذلك المنظر المهول الذى بدا أمام عيونهم جميعا .

يالـه من كائن غريب ، لايمكن وصفه ! . إنه ضخم ، يصل طوله إلى مائة وخمسين مترا ، بل يزيد ، فهو يمكنه أن يطول

ويقصر حسبما يريد ، وتبدو عيونه الثلاثة البارزة فى وجهه وكأنها حفر عميقة لايعرف أحد أين أغوارها بالضبط . . أما أذنه الوحيدة الموجودة أعلى رأسه فتبدو كأنها هوائى ضخم يرصد بها كل مايدور حوله ، حتى لايفلت منه شىء يمكنه أن يعبر باب المستحيل الأول ، وربما لهذا فإن حشرة صغيرة واحدة لم تجرؤ أن تدخل من هذا الباب .

بدا ضخم الكتفين ، يملأ شعره الأسود صدره ، وكأنه غابة كثيفة من الأشجار ، أما يده فلم تكن سوى إصبعين بالغى الضخامة تحملان سيفا طويلا يبرق وتنعكس عنه أشعة نارية كفيلة أن تحرق مدينة بأكملها .

هنا تحركت الأحداث بسرعة رهيبة لم يتوقعها أحد . .

(١٩)

بدا كأن « العملاق المسعور » قد وجد ضالته التى ينتظرها منذ دهور ، فهاهم خمسة من البلهاء قد اقتربوا من مملكته الخاصة ، لعلهم يعرفون أى مصير ينتظرهم ، فهو قادر بضربة واحدة من سيفه الإشعاعى الضخم أن يقطع عليهم الطريق وأن يبدأ فى التهامهم الواحد تلو الأخر . بل وأن يتسلى بهم ، وكأنهم حبات فيشار قليلة ينتظرها شخص مشتاق للتسلية .

وبسرعة ، راح يمد يده من أجل التقاط البساط المسحور . لكن فجأة انطلق البساط ودار حول نفسه بسرعة كبيرة ، كأنها سرعة الضوء ، وابتعد الجميع عن منطقة الخطر فى أقل من ثانية.

اشتد غضب العملاق ، وراح يردد :

ـ لقد حاولتم اختراق مملكتى ، وأنتم البادئون . .

ثم انطلق وراء البساط العجيب الذى يطير بسرعة الضوء . لكن سرعة العملاق كانت أشد ، وبدأ الخطر يقترب من الصغار الخائفين ، الذين أخذوا فى الصراخ بينما راح العجوز يحاول من جديد أن يبث الشجاعة فى قلوبهم المرعوبة :

ـ لاتخافوا . . إنه جبان !!

ولم يجد الكلام . خاصة أن المسافة بين العملاق ، وبين البساط قد ضاقت للغاية . . كاد الجميع أن يسقطوا فى الخطر الحقيقى . .

فجأة انطلقت صيحة عالية من العجوز ، وهو يقف فى أطراف البساط العجيب المنطلق فى الفضاء بسرعة الضوء وهو يقول :

ـ الآن . . لابد أن يظهر « الفارس النادر » . .

وانشق المكان . .

راح العجوز يمزق جلبابه الأبيض ويلقى به فى الهواء ، وعلى الفور رأى الجميع رجلا يافعا ، مليئا بالقوة ، يحل مكان العجوز، وقد أمسك بيده سيفا غريب الشكل ، يبدو طرف نصله مفرطحا عريضا ، يلمع فى الهواء ، وقد ارتدى فوق رأسه خوذة المحارب العربى ، وفى قدميه قفازان خضراوا اللون . .

لم يكن هناك وقت للدهشة ، بل للمواجهة . . خاصة حين قال الفارس :

. ـ اشهروا سيوفكم ، فقد حانت المواجهة الحقيقية !! .

شىء ما اعترى كلا منهم ، وهم الذين لم يصدقوا العجوز حين أكد لهم أن العملاق كائن جبان ، فقد أحس كل منهم الآن بثقة شديدة فى نفسه ، حين طلب منهم الفارس أن يشهروا أسلحتهم ، وفى الحال ، رفع كل منهم سيفه فى الهواء . .

فجأة ، ضرب العملاق بسيفه فى الهواء فاستطاع أن يشطر «البساط العجيب» جزأين كادا أن يهويا فى الفراغ ، وأن يهلك كل من فيه ، لكن ، فجأة ، وبكل سرعة ، التأم البساط مرة أخرى ، وحاول أن يفلت بركابه . .

وبينما انطلق البساط بركابه بعيداً ، وقف العملاق غاضبا يرقب مايحدث أمامه وهو يتمتم :

ـ ولو . . هذا جزاء من يقترب من مملكتى . .

ثم رفع سيفه لأعلى . وسرعان ما انطلقت منه أشعة حمراء كأنها النار ، اندفعت نحو البساط العجيب وراكبيه . واستطاعت أن تمس طرفه ، فانطلقت فيه النيران ، صاح كريم :

ـ انتبهوا . . البساط يحترق . .

(٢٠)

فجأة برزت من أطراف البساط العجيب ، رشاشات مائية . انطلقت منها أبخرة ماء راحت تطفئ النيران التى مست المكان . . بدت النيران قوية ، لكن الرشاشات كانت أشد قوة . . ولذا . سرعان ما انطفأ الحريق .

ملأ الغيظ قلب العملاق ، ولأول مرة ، جحظت عضلات عيونه الثلاث ، وتدلت أذنه الطويلة من أعلى رأسه ، كأنها الرادار ، يحاول أن يرصد بها اتجاه البساط العجيب ليوجه ضربته التالية . . وحرك رأسه فوق عنقه البنفسجى الطويل ، كأنه يعرف إلى أى مدى سوف يوجه الضربة .

ومن جديد ، رفع سيفه ، ووجهه إلى مكان البساط العجيب ، ثم أخذ يتحرك بكل دقة وكأنه مصوب ماهر يعرف كيف يصطاد فريسته . وفجأة انطلق من سيفه أشعة ليزر قاتلة .

يمكن أن تهلك البساط وراكبيه فى الحال . .

هتف « الفارس النادر » :

ـ بسرعة وجهوا سيوفكم نحو الأشعة . . معا . . كلكم معا . .

بدا كأن هناك سباقا بين أشعة الليزر القاتلة ، وبين ماقاله الفارس . . وبكل سرعة ، وجه الخمسة سيوفهم المتباينة الأحجام، نحو أشعة الموت القادمة نحوهم . صاح الفارس . وهو يحاول أن يلتقط الأشعة على نصل سيفه الخارق :

ـ بسرعة . . وجهوا سيوفكم هكذا . .

وأدار الجميع سيوفهم نحو العملاق ، فانعكست أشعة الليزر القاتلة على نصول السيوف الخمسة ، وبسرعة هائلة انطلقت مرة أخرى نحو العملاق !

كان مشهدا مهيبا لاتصدقه عين !!

فما إن سقطت أشعة الليزر المنعكسة من نصول السيوف الخمسة على جسد العملاق حتى أطلق صرخة حادة انشقت لها الجبال المجاورة ، والصحراء البعيدة ، وبدأ العملاق يتلوى من الألم ، وهو الذى لم يصدق قط أن ضربته يمكن أن توجه إليه . .

صاح الفارس : أسرعوا . . حانت اللحظة الحاسمة . .

(٢١)

شاهد الجميع بأعينهم كيف بدأ العملاق ينكمش شيئا فشيئا وهو لايكف عن الصراخ والتلوى من الألم .

بدا كل شىء مما يحدث أمامهم وكأنه يدار بآلة سينما تعكس الصورة ببطء شديد وتغير إيقاع المواجهة السريع بين العملاق . ومجموعة المغامرين ، وراح العملاق يتلوى ببطء ، كأنه يتلذذ بآلامه ، وهو ينكمش شيئا فشيئا ، طولا وعرضا ، فيقترب من الأرض ، ويسقط منه سيفه . .

صاحت مها :

ـ ياله من منظر غريب !!

ردَّ الفارس :

ـ نحن فى رحلة الغرائب . حاولوا ان تعتادوا على الدهشة . .

تساءل طارق :ـ هل سيموت ؟

ردَّ الفارس : سوف نرى . . انتظروا ولاتفقدوا صبركم بسرعة . . لكن فقط تحركوا عندما أقول . .

بدا كأن عليهم أن يصبروا طويلا وهم يرون العملاق ينكمش ، ويتحول إلى كائن معذب يتألم . ورغم أنه بدأ فى الانكماش ، إلا أن الشىء الوحيد الذى لم يتضاءل فيه هو

صوته الـذى بدا وكأنه يخترق السماء . وكأنه يعبر بـذلك عن ألمه ومعاناته .

فجأة ، قال الفارس :

ـ الآن . . حانت اللحظة . . اقبضوا عليه . .

وأسرع البساط العجيب نحو الأرض ، حيث انحنى العملاق الـذى أصبح الآن فى حجم الإنسان العـادى وهـو يتأوه . هنـا صاح الفارس :

ـ بسرعة . . لفوه بأيديكم . . لاتدعوه يهرب . .

أحس الأولاد وهم يقفزون من فوق البساط إلى الأرض ، أن دورهم قـد حان كى يفعلوا شيئا فى تلك المغامرة . . لـذا أسرعوا نحو العملاق « سابقا » وراحوا يحوطونه بأيديهم محاولين تقييد يده .

لكن ذلك لم يكن سهلا بالمرة !!

(٢٢)

فجأة أحس كريم أن العملاق « سابقا » يحدق فيه بإحدى عيونه الثلاثة ، وحاول أن يقاوم بكل مالـديه من قـوة ، ولكن الصبية كانوا يحسون أن عليهم أن يثبتوا قوتهم ، ولذا تعمد كريم أن يغلق عينيه حتى لايقع تحت التأثير الغريب الذى أحسه

يتدفـق من عين العملاق « سـابقا » نحـوه كأنه مغنـاطيس ذو جاذبية غير عادية . . لذا صاح فى زملائه :

ـ قيدوه . . دون أن تنظروا إلى عيونه ! !

جاء صوت « الفارس النادر » :

ـ هذا هو « الحبل السحرى » . . قيدوه به .

أسرع طـارق يلتقط « الحبـل السحرى » قبـل أن يسقط فـوق الأرض وكان عبارة عـن خيط شفاف رفيع للغايـة ، لايكاد يرى منه سوى خط بنفسجي بداخله ، كأنه شعاع من الضوء .

صاح شريف وهـو يضغط على العملاق سابقا الـذى بدا كأن نوبة جنونـه قد عاودته كى يتخلص مـن تأثير « الأشعة» عليه ، وهو لايزال يصرخ :

ـ أسرع . . إنه يكاد ينفجر . .

فجأة صرخ طارق ، وهو يلقى بالحبل فى الجو :

ـ آه . . إنه ملتهب . .

وجاء صوت الفارس : لاتجعله يلمس الأرض . .

وقبل أن يقول « وإلا تحول إلى تراب » كـان شريف قد قفز فى أعلى الجو ، وكـأنه حـارس مرمـى عليه أن يلتقـط كرة قبـل أن تدخـل فى الهدف . وبكل مهارة ، استطـاع أن يمسك بـالحبل قبل أن يسقط فوق الأرض ويتحول إلى تراب .

راح يتنهد وهو يمسك الحبل ، بينما لم يكف « الوحش » عن الصراخ بصوت كان كافيا لإثارة الرعب فى الصغار .

راح جسمه يتمايل يمينا ويسارا ، كأنه يود أن يتخلص مما يصيبه على أثر قيده بهذا الحبل السحرى ، وحاول جاهدا . فإما أن يقاوم ، أو ينتهى إلى الأبد . .

ترى هل سينجح ؟

(٢٣)

بعد قليل ، قال الفارس وقد علت شفتيه ابتسامة عريضة :

ـ رائع . . الآن علينا أن نعرف منه أين يوجد باب المستحيل الثانى . .

كان الأربعة قد تكاتفوا معا فى لف « الحبل السحرى » ، حول جسد العملاق . والذى سرعان ماكف عن الصراخ بصوته الأجش الذى اخترق الآفاق ، فبدا كأن الحبل قد أطبق عليه تماما ، وجعله يشعر أن هذا هو مصيره الأبدى . . الآن هو قابع تحت إحدى الأشجار منكس الرأس تماما ، يبدو أقرب إلى مجرم اقترف آلاف الذنوب ، وتم القبض عليه وعلى استعداد تام لأن يعترف بها ارتكب .

تمتم الفارس قائلا :

ـ إنه كما أخبرتكم جبان . لاتخافوا أبدا من صاحب الصوت العالى . . فغالبا مايكون « جعجعة بلا طحن » . .

هنا تذكرت « مها » ماقرأته يوما فى كتاب عن هذا المثل فصاحت :

ـ آه . . لقد تذكرت ماكان فى كتاب الأمثال . .

أشرقت وجوه الجميع ، وهم ينظرون إليها بدهشة ، فالآن . وبعد اجتياز الباب الأول بدأت الذاكرة تعود . وخاصة الذاكرة المرتبطة بالكلمة المقروءة . . هتف الفارس :

ـ رائع . . إذن سنكمل المغامرة . . موافقون . . ؟

بدت الإجابة باردة على وجوه الأربعة . نظر إليهم فى ثبات . وحاول أن يقرأ الأفكار التى ترتسم خلف هذا الصمت . ثم ابتسم فجأة ، وهو يلتف حوله ، كأنه يبحث عن شىء . وقال :

ـ آه . . لقد فهمت . . هل تقصدون العجوز ؟ سوف أشرح لكم . أولا . . لم يسألنى أحد لماذا استسلم العملاق بهذه السهولة بين أيديكم . .

نطق كريم : طبعا . « الحبل السحرى » . .

رد الفارس : لا طبعا . . لقد أبدى استسلامه قبل أن تلفوه بالحبل . كان أقصى مافعله هو أن صرخ بصوت عال . . هل تعرفون لماذا ؟ إنها . .

ثم سكت قليلا قبل أن يكمل كلامه . .

(٢٤)

تمتم الفارس : « العروة الوثقى » . .

ثم راح يشرح لهم أن تكاتفهم معا لأول مرة وهم الذين يمثلون فريقين متنافسين ، وخصمين لدودين ، قد جعل منهم عروة وثقى أثارت خوف العملاق ، وجعلته يشعر بالاستسلام . وهو الذى لم يتصور أبداً أن أشخاصا يمكنهم الاقتراب من باب المستحيل الأول ، وقد عقدوا العزيمة على اختراقه مهما كانت الصعاب .

هنا سألت مها :

ـ لكن أين العجوز . . ومن أنت بالضبط . . ؟

ابتسم الفارس ، وراح يمسك سيفه ، مشى بضعة خطوات أمامهم ، بينما سمع العملاق يئن أسفل الشجرة ، كان يتوقع هذا السؤال . . ولذا كان يعرف جيدا متى يجيب . بدا كأنه قد أعد الإجابة جيدا . قال وهو يبتسم :

ـ أنا « الفارس النادر » . .

رد طارق : نحن نعرف الاسم . لكن من هو « الفارس النادر» بالضبط ؟

أجاب : إنه شخص عادى . رجل يجمع بين حكمة الشيوخ . وقوة الشباب عند اللزوم . . فارس يناسب العصر . بل وكل العصور . يمكنكم مناداتى « خير الله » .

ثم سكت قليلا ، وأشار إلى العملاق المهزوم ، تعمد أن يغير من لهجته ، وقال :

ـ هيا ، علينا أن نعرف طريق باب المستحيل الثانى من هذا العملاق المهزوم .

ثم اتجه نحو العملاق الذى لم يعد عملاقا بالمرة ، بدا منكس الرأس . وكأنما لاحول له ولا قوة . . ثم رفع رأسه ، وقال وقد بدت ملامح الأسى على نبراته :

ـ ستتركوننى هنا وحدى ؟

ردّ « الفارس النادر » : ماذا تقصد ؟

قال العملاق : لا أريد أن أبقى هنا وحدى . .

رد كريم : يجب أن تذوق من نفس الشراب . . إثارة الخوف فى قلوب الآخرين . .

ورغم ذلك ، فقد بدا كريم متـأثرا للغاية بمنظر العملاق . وقد أصبح كسيرا تماما .

(٢٥)

وسرعان ماجـاءت الأخبار المزعجة عن الهزيمـة غير المسبوقة التى منى بها العملاق والذى أخذ يتوسل إلى « الفارس النادر» . مبعوث «مدينة الحكايـات » الجديد ، ألا يتركه مقيدا إلى الأبد . وراء شجرة عملاقة ، فهو بذلك سيكون عرضة لانتقام وحوش الغابـات التى تسعى بـأى ثمن أن تستولى على بـاب المستحيل الأول . .

وقف « الشبـح الأزرق » فى أعلى بناية زرقاء تطـل على المدينة المظلمة ، وهو يردد متحسرا . كما بدت كلماته على الشاشة :

ـ لا . . لم أتصور أن يستسلم هـذا الكائن بهذه السرعة . إنه جبان .

وقـف مسـاعـد « الشبح الأزرق » الـداكـن اللـون إلى جـوار زعيمـه ، يحاول أن يخفـف عنه هـول الصـدمـة التـى جاءتـه هـذا الصباح ، وقال :

ـ هل نسيت يازعيم أن هنـاك خمسة أبواب . وأنه وراء كل باب جديد المزيدمن الصعوبات والمخاطر . . ؟

كان المساعد رجلا غريب الشكل ، فنصفه الأمامى أشبه بإنسان ، أما النصف الخلفى فأقرب إلى الذئب . فى أعلاه توجد يدان بشريتان أما قدماه فهما لذئب شرس يمكنه أن يتحول إلى كائن متوحش فى أى وقت .

لم يعلق « الشبح الأزرق » بكلمة واحدة ، فهو يحس أن لكلمات لافائدة منها الآن . فقط عليه أن يحسم الأمر ، وأن رسل من أبناء المدينة الزرقاء ، من يحسمون المعركة القادمة . عند لباب الثانى للمستحيل .

أشار إلى « الرجل الذئب » ، وقال :

ـ الدور عليك كى تتصرف . .

رد الرجل الذئب بكل ثقة :

ـ ليس أمامنا سوى شبح الجحيم . .

برقت عينا « الشبح الأزرق » وكأنه كان قد نسى صاحب هذا لاسم ، وبدت على وجهه علامات الارتياح ، فهو يعرف أن شبح الجحيم » يمكنه أن يكتسح أمامه جبالا ، وبلاداً كملها ، ويلتهمها فى دقائق قليلة . .

(٢٦)

هتف كريم ، وقد علت الفرحة لكنته :

ـــ رائع . لقد عرفنا طريق باب المستحيل الثانى من العملاق .

هنا تدخل طارق :

ـــ لاتنس أننا وعدناه أن نطلق سراحه ونحن فى طريق العودة . .

ومن جديد بدأت الخصومة تظهر بين الرفاق الأربعة ، ممثلى فريقى « الصباح » و « النهضة » المتنافسين دوما ، فها هو طارق يتحدث بلهجة غريبة إلى كريم ، أحبس « الفارس النادر» أن عليه أن يتدخل ، ويحسم مثل هذه المشاعر الغير طيبة التى ربما تفسد الرحلة تماما . فقرر أن يعود ثانية إلى هيئته الحقيقية ،أن يكون عجوزا حكيما ، تبدو ملامح الطيبة على وجهه وينطق بالحكمة المأثورة :

هتفت مها : ماذا . . لقد عدت ثانية !!

هز العجوز رأسه فى تؤدة وقال : هذا هو الأصل . علينا الآن أن نفتش عن بوابة المستحيل الثانية .

سأل كريم : هل صحيح أننا سنطلق سراح العملاق ؟

لم يشأ العجوز أن يرد بسرعة على الإجابة . ولكنه بدأ يعد البساط العجيب من أجل استكمال رحلة المخاطرات نحو بوابة

المستحيل الثانيـة ، فقد أمكنهم أن يعرفوا الطـريق الصحيح إلى البوابة ، من العملاق ، الذى لم يعد الآن عملاقا ، بل أصبح كائنا مستأنساً مربوطا فى شجـرة ، يشاهده الوحوش وأبناء الغابة فى حالته ، فيسخرون منه . وبما فعله بهم طوال سنوات .

قبـل أن ينطلق الجميع إلى البـوابة الثـانيـة ، كان عليهـم أن يتأكدوا من مصيرهم ، خاصة أن العجوز قد وعد العملاق أن يطلق سراحه . بعد أن يجتاز بوابة المستحيل الخامسة ويتمكن من استعادة الكلمات الضائعة .

الآن ، عليهم أن يتقدموا بكل إصرار نحو باب آخر من أبواب المستحيل ، حيث ينتظرهم مالا يتوقعون . .

(٢٧)

ياله من باب !!

ويالها من مخاطر تكمن هناك !!

بدأت بوادره تظهر على مسافة مئات الأميال ، قبل أن يصلوا إليه ، فقد أحس ركاب البساط العجيب فجـأة أن الجو أصبح ساخنـا ، وأن درجة حرارة الجو بـدأت فى الارتفاع تـدريجيا وأن غبارا كثيفا ملأ المكان ، صاح شريف :

ـ يا إلهى . تغير الجو فجأة !!

رد العجوز : إنها البوابة الملتهبة .

هتفت مها : الرذاذ الخارق يدخل فى عينى . .

صاح شريف : البساط يكاد ينقلب بنا .

وبكل هدوء واتزان ، علق العجوز :

- إذن ، يجب أن نتصرف . .

فجأة أحس الصغار كأن هناك حواجز زجاجية خفية برزت من اركان البساط الاليكترونى الأربعة ، وبسرعة انطلق هواء بارد ، فأحس ركاب البساط كأنهم بداخل غرفة زجاجية مكيفة الهواء . بدت الدهشة على وجوه الصغار . إلا أن « كريم » ردد :

- إنه بساط عجيب فعلا . .

ضحك طارق قائلا : إنه مصنوع ليلائم مغامرات العصر تكييف مركزى . وإمكانات خارقة . .

وفى أثناء كلامه ، راحت حالة الجو تزداد سوءا . فالرياح ساخنة تشتد ، والأتربة الحارقة تضرب بكل شىء فى الهواء . . وأصبحت الرياح أشد قوة ، وهى تضرب كل شىء أمامها . فلايمكن لأى قوة أن تصدها ، أو أن تقف فى مواجهتها . فهى تعصف بكل شىء . وتقلب كل مايصادفها .

لكن أى مواجهة ستتولد بين الـرياح الساخنة ، وبين البساط العجيب . وهـل هو مجهـز فعلا ، كـى يمكنه اختراق مثـل هذه المصاعب ؟

(٢٨)

سأل كريم ، وقد بدأ القلق يسرى فى داخله :

ـ إنها رياح عاتية نارية . .

هتف العجـوز قائلا : أخبرونى يا أصـدقاء . لو أن أمـامك ريحا . ماذا ستفعل ؟

ردت مها : « الباب الذى يجئ منه الريح . . سده واستريح »

مط العجوز شفتيه ، وقال :

ــ رائع . . أى علينا أن نتقـى شر الأشيـاء . . لكن هنـاك فكرة أخرى : لماذا لانستفيد من الريح مثلا فى أشياء مفيدة ؟

تنبه الأصدقاء إلى أن هناك شيئـا ما ، وأحسوا كأن العجوز يدخـل الفريقين فى مباراة للمعلومـات . تذكر كل منهـم أشياء عديدة تتعلق بالريح ، وأن الكثير من البشر استفاد من الرياح لتحريك طواحين الهواء لتوليد الطاقة والكهرباء . .

لكن ، هـذه رياح سـاخنة ، لاتتحـرك فى اتجاه واحد حتـى يمكن الاستفادة منها . . والسير فى مواجهتها أو صدها ، بل

كانـت رياحا دواميـة ، تتحرك بسرعـة فائقة فى كـل الاتجاهات ويمكنها أن تقلب أعتى السفن والمركبات الحديثة والطائرات فى ثوان ، وكـانت مـن شدة السخـونة لـدرجة تجعلهـا أن تذيـب المعادن الصلبة . .

وكلما انطلـق البساط الالكترونـى ، كلما اشتـدت الريـاح. وراحت تدفعه كـى تقلبه ، أو كى تذيبه بركـابه . . ورغم أن منظـر الـريـاح كـان مثيرا للخـوف والـرعـب لـركـاب البسـاط الالكترونى، فـإن الحاجز الخفـى الذى راح يحجـزهم عـن تلك الأخطار بدا كأنه غير كاف لبث الطمأنينة فى قلوبهم . .

جلس العجوز القرفصاء ، وراح يتلو بعض الآيات القرآنية . ثم قال :

ـ اطمئنوا . . تصرفوا كأنكم فى رحلة عبر الكون . .

لم يكـن الكلام كـافيـا لبث الطمـأنينـة فى القلوب . رغـم أن العجـوز قد أصبـح محل ثقة مطلقـة لدى الصغـار . لكن مـاذا يمكن أن يفعـل المرء إزاء هذا الغضـب الذى يبـدو على الريـاح الملتهبة التى تمثل بوابة المستحيل الثانية ، فلا يمكن لأى مخلوق مهما كانت قوته ، ومهما كان يملك من أسلحة أن يمر من هذه البوابة . . فالأسلحة مهما كانت قوتها ستنصهر . والمركبات مهما

زادت سرعتها سوف تنقلب وستتحول إلى لعبة تافهة ثم ماتلبث أن تختفى فى المجهول دون أن يعرف أحد مصيرها .

(٢٩)

لو أن شخصا أمكنه المرور أسفل البساط العجيب فى تلك اللحظات وهذا بالطبع من سابع المستحيلات ، لأمكنه أن يرى شيئا ما يتناثر من فتحات البساط ، وهو يحاول الهبوط ، ثم الصعود . .

إنها كرات من الثلج ، التى ما إن تلامس الهواء الساخن . حتى تتبخر وتتحول إلى ذرات من الماء ، لاتلبث أن تختفى . بدت الكرات ضعيفة فى أول الأمر ، غير قادرة أن تتعامل مع حرارة الرياح ، ولا أن تُهدئ من اندفاعها .

ولذا أخذت كرات الثلج الصغيرة تكبر شيئا فشيئا ، وكان منظرا غريبا ، فالكرات تندفع ضئيلة الحجم فى بداية الأمر من فتحات صغيرة أسفل « البساط الالكترونى » ، وما إن تُلامس الهواء حتى تكبر وتكبر ، فتجابه الريح ، وتساعد فى تلطيف الجو . .

بدت المعركة غريبة ، وشرسة . بين كرات الثلج ، وبين الرياح الساخنة . فكلما ازداد عدد الكرات ، وحجمها ، برز من

بين النيران المتدفقة حول المكان شيء أقرب إلى الحية ، يطلق لسانه الطويل ، فيلتهم كرة الثلج الكبيرة ، كأنه يتلذذ بها . ويستطعم مذاقها ، وكأنه متعطش للمياه منذ عشرات القرون .

بدت معركة غير متكافئة بالمرة . . لكن العجوز ، كان قد قرر أن يستمر فى المجابهة ، وألا يفقد الأمل . فها هو « مارد الرياح الساخنة » قد ظهر أخيرا . . لذا هتف :

- رائع . . رائع .

انكمش الصغار فى ركن صغير من البساط الالكترونى ، وقد التفوا حول بعضهم وكأنهم ينتظرون مصيرا غامضا . لم ينتبه أحد منهم إلى مايقوله العجوز . وقد لمعت الفرحة فى عينيه ، وهو يشاهد لسان « مارد الرياح الساخنة » يلتهم حبات الجليد الكبرى . .

قال العجوز :

- إنه لايعرف أن نهايته قد حانت . .

ولم يحاول أحد من الصغار أن يسأل ماذا يقصد . ولأول مرة أحسوا بأنه لم يكن عليهم القيام بمغامرة كهذه ، حتى ولو من أجل البحث عن الكلمة الضائعة . . فترى ماذا يقصد العجوز، وخاصة أن « مارد الرياح الساخنة » قد نجح فى التهام الكرات الجليدية التى أصبحت تملأ المكان . .



فجـأة ، تـوقـف « مـارد الـريـاح السـاخنـة » . ونظـر بعينين غاضبتين إلى البساط الالكترونـى الذى لم يتوقف عـن الانطلاق ، ولا عن إفراز مئات الألوف من الكرات الجليدية . بدا لسان المارد ضخما للغـاية . وكـأنـه كفيل لارتشـاف بحر بـأكملـه من كـرات الجليد .

هنا التفت العجوز إلى الصغار المنكمشين فى ركن من البساط ، وصاح :

ـ تعـالوا أيها الخائفـون لتشاهـدوا ما لم يـره أحد مـن البشر من قبل . .

حاول الصغار أن يتحاملوا ، لكن عين المارد بدت قوية ، وهى تنظـر إليهـم . وأحسـوا كأنها سـوف تخترقهـم بكـل قوة . . هتـف العجوز :

ـ انظروا . . لقد أصابه « تلبك » معوى . .

بدا المارد ، كـأن حالة مـن اللهاث قـد أصابته . فهـو لا يزال يحاول أن يلتقط الكـرات الجليديـة التى ازداد عـددها وانـدفاعهـا داخل جوفه عن طريق لسانه الضخم .

فى تلك اللحظـات ، حاول الصغـار أن يتحركـوا من مكـانهم لمشاهدة ذلك المنظـر المثير ، رغم الخوف الذى تسرب فى قلوبهم . قرروا ألا تفوتهم رؤية هذا المنظر الذى لم يره بشر من قبل .

فجأة ، بدا فم المارد مفتوحا . ولسانه منطلقا لأعلى ، وانطلقت الكرات بسرعـة رهيبة داخل جوفـه السحيق الذى تنطلق منـه هذه الرياح الساخنة . بدا كأن المارد نفسه قد فقد القدرة على المقاومة . وبقى جامدا لا يتحرك ، بينما انطلقت أطنان الكرات الثلجية تسد هـذا الجوف الضخـم ، والـذى تـوقفـت الحرارة السـاخنـة عـن الانطلاق منه شيئا فشيئا . .

هتف كريم ، وهو لا يصدق عينيه :

ـ ياله من شىء مثير حقا ! !

صاحت مها : انظروا إلى عينه . . إنها تكاد تتحجر .

كان لمارد الرياح الساخنة عين واحدة قـرمزية اللون ، تبدو من شـدة التهابها ، كـأنها فـوهة لكـل هـذه النيران . . لكن فى تلـك اللحظة التى تطلـع الصغار إلى تلك العين كان المارد كأنـه قد فقد كل قواه . بعد أن سدت كرات الجليد جوفه .

(٣٠)

ثم بدأت كرات الجليد تكسـو جلد المارد الخارجى . هنا صاح العجوز :

ـ الآن . . علينا أن نكسوه بها لا يشتهى .

ووسط هـذه الدهشة الغريبـة ، لم يكن أمام الصغـار سوى أن يرقبوا ما حدث ، فقد انطلـق البساط الالكترونى بسرعته الهائلة . حـول جسد المارد السـاخـن ، وراح يطلـق عليه رذاذاً هـائلا مـن الجليد .

بدا المنظر مثيراً للغاية ، وكان على العجوز أن يتحكم فى بساطه الالكترونى بـأى ثمن ، كـى يقوم بتلك المغـامرة العجيبـة . . بدا وكأنه يقود صاروخا ينطلق بسرعـة هائلة . وهو يدور حول المارد . وصاح :

ـ الزموا الأرض . . تشبثوا بها !!

ومرة أخـرى ، تلاحـم الصغار . بينما حـاول كريـم أن يختلس النظرات إلى مـا يحدث ، كان يتوقـع أن يرى شيئا مختلفـا تماما . . على الأقل أن يتحول العجوز إلى « الفارس النـادر » من أجل قيادة البساط العجيب فى مثل هذه الظروف .

لكـن ، « كـريـم » لم يلحظ أى تغير على الـرجـل الـذى بـدا متماسكا للغـاية . وهو ينطلـق بالبسـاط ، محاولا أن يكسو « المارد النارى » بطبقة هائلة من الجليـد تكفى لتجميده عدة أيام ، حتى ينتهوا من رحلتهم المثيرة على الأقل .

لم يكن لكـريم أن يلحظ أن يدى العجـوز قد اشتدتـا فجأة ،

وهما تضغطان على شبه مقود خفى وهـو ينطلق بهذه السرعة الهائلة . ولم يكن لأى يديـن فى الدنيا أن تفعلا ذلك سـوى يدى عملاق قوى . وليس رجلا عجوزا . .

(٣١)

واكتسـى المكـان كلـه ببرودة شديـدة ، بعـد أن ظلـت النيران تنطلق منه إلى كافة الآفاق . . وبـدلا من هجير اللهيب الشديد . علا الصمـت والسكون المكان . وتجمد « مـارد الرياح السـاخنة » مكانه ، وكـأنه لم يكن قبل ذلـك الوحش المدمر الثـائر ، الذى لا تهدأ له حركة ، وقد ازداد إصرارا أن يبتلع كافة الكرات الثلجية . الآن ، لا . . لايمكن لأحد أن يصدق أن هذا « المارد النارى » قد تحول إلى كتلة من الجليد . . تنهـد الصغار ، وهم يلتفون حول العجوز ، وقالت مها :

ـ إنها مغامرة غريبة . . مجنونة ! !

سأل شريف : هل تجاوزنا بوابة المستحيل الثانية . . ؟

لم يـرد العجوز ، إلا بعـد أن قـال كريـم ، كـأنه يتحـدث إلى نفسه :

ـ فعلا لا يطفئ النيران إلا الجليد . .

وعلـق طـارق مـن الفـريـق المنـافـس : ولايفـل الحديـد إلا الحديد . . ذلك معنى آخر . .

قام العجوز من مكانه ، والتفت إلى كريم ، وطارق ، وقال :

ـ رائع . . نحن الآن قد تجاوزنا البوابة الثانية . . وتعلمنا معانى جديدة . . حتى وإن كانت مكملة لبعضها . .

وشرد الأصدقاء في ما قاله كل من كريم وطارق . وكان عليهم أن يستعدوا لاختراق بوابة المستحيل الثالثة .

لكن هناك فى أماكن بعيدة ، وغير بعيدة ، كان كل شيء يدور فى إطار من التوتر الشديد .

أُعلنت حالة الغضب العام فى « المدينة الزرقاء » . .

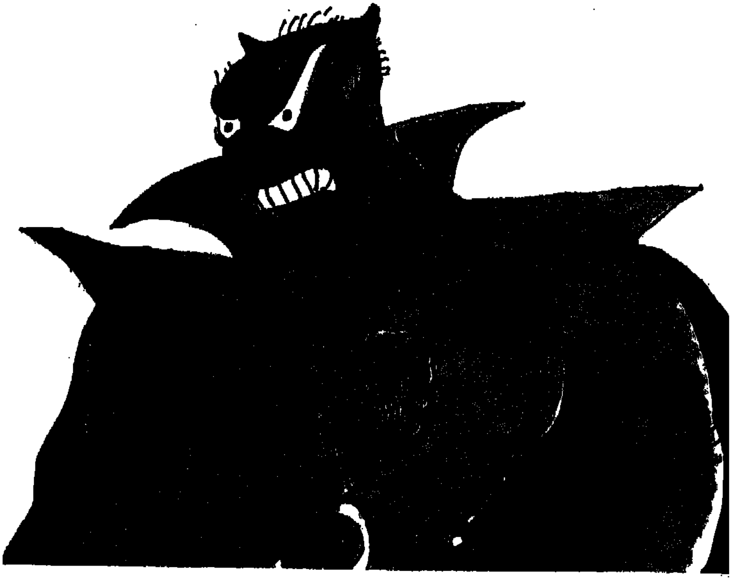
وانطلقت السعادة الشاملة فى « مدينة الحكايات » .

أحس « الشبح الأزرق » بغيظ شديد وهو يرى البساط الالكترونى يمرق بين الرياح الساخنة ، ثم هاهو المارد قد تجمد ، واجتاز الجميع بوابة المستحيل الثانية . .

صاح الشبح الأزرق وفى لكنته كافة علامات السخط والغضب ، وبدا هذا واضحا على الشريط المكتوب :

ـ لا . . إلا هذا الفارس العجوز . . ترى من أين جاء ؟ . يجب أن ننال منه .

كان فقط عليه أن يأمر ، وعلى أتباعه أن يتفننوا فى عرقلة البساط الالكترونى بأى ثمن وأن يزيدوا من الحواجز الموجودة حول



بوابات المستحيل حتى لا يتمكن العجوز ومعه الأصدقاء الأربعة من الوصول إلى جبل الذهب البعيد الواقع خلف بوابة المستحيل الخامسة .

قال أحد المساعدين :

ـ لا تقلق أيها الشبح العظيم ، فهناك مفاجآت عند البوابة الثالثة .

ردد « الشبح الأزرق » : أعرف . أعرف . هذا لا، يكفى زيدوا الجرعة . . مفهوم ؟

كانت نبرات غضبه واضحة فوق شريط الصوت ، المكتوب همس قائلا لنفسه :

ـ إنها المرة الأولى التى يغضب بهذه الصورة . هذا وحده كفيل أن يجعله ينتقم من « المدينة الزرقاء » ، ويطلق عليها بين لحظة وأخرى الضوء الأبيض . . فيحرقنا جميعا .

تحرك الشبح من مكانه أمام الخريطة التفصيلية التى تنعكس عليها كافة مؤشرات المغامرات التى يقوم بها رجاله فى شتى انحاء العالم من أجل إعلان الظلمة وسيادة اللون الأزرق الشديد العتمة فى كل مكان بدا شديد القلق ، وهو ينظر إلى بوابة المستحيل الثانية التى سقطت قطعها ، كأنها سقطت قطعة من نرد الشطرنج

الثمين ، ظهرت على الشاشة كلماته الغاضبة :

ـ الويل ، لو سقطت قطعة صغيرة من بوابة المستحيل الثالثة .

ثم جلس يتأمل اللوحة وكأنها الحسرة قد اشتدت به فآثر الصمت .

(٣٢)

فى « مدينة الحكايات » عمت الفرحة المكان ، وراح الأصدقاء الذين عادوا لتوهم من مغامرات جديدة يهنئون أنفسهم بانضمام مواطن جديد إلى « مدينة الحكايات » . . إنه « الفارس النادر » الذى يفضل ان يكون عجوزا ، ينطق بالحكمة ، وعند الضرورة القصوى ، يتحول إلى فارس نبيل ، لا يقتل أبدا ولكنه يستخدم سيفه فى إعلاء كلمة الحق ، وهو لا يبارز إلا عند الضرورة ، ولكنه يتفنن فى استخدام عقله ، من أجل أن يحول السيف إلى أداة نافعة عند المواجهة ، وليس لسفك الدماء .

ورغم أن المغامرة لم تنته بعد فإن أجهزة الكومبيوتر المتطورة الموجودة فى مدينة الحكايات وشاشات الرصد التلوسكوبية استطاعت أن تسجل شريطاً تفصيلياً لما حدث فى بوابة المستحيل الثانية ، وعلى وجه السرعة راحت تبثه على محطات الإرسال المحلية ، كى يراه من أبناء « مدينة الحكايات » ، من هم الآن فى

فترة راحة بين مغامرة وأخرى . ويستعدون لتسلية بعض الأصدقاء في كل مكان في العالم .

سرعان ما جاءت الأخبار السيئة إلى « مدينة الحكايات » . .

عرف بعض أبناء المدينة من المشاهير أن « الشبح الأزرق » حشد عدته من أجل ألا يمر البساط الالكتروني بركابه من بوابة المستحيل الثالثة مهما كان الثمن . .

وسرعان ما ساد الهرج في المكان . .

وطالب البعض بإعلان حالة الطوارىء من أجل استدعاء أشهر وأقوى أبطال الحكايات من مغامراتهم التي يوجدون فيها الآن ، خاصة عنترة بن شداد الذي ركب صاروخا إلى المريخ من أجل حبيبته عبلة ، أو سيف بن ذي يزن من أعماق التاريخ . حيث ذهب إلى ما قبل الزمن من أجل مطاردة ديناصور ، فكر في أن يدمر غابة بأكملها بأقدامه العملاقة .

لكن حكيم المدينة « الرجل الشفاف » رفض كل هذا . .

وجاء أمره واضحا :

« اتركوا لبطلنا الجديد الفرصة كي يثبت قدرته وكفاءته . . وهل يستحق أن نمنحه جنسيه « مدينة الحكايات » أم لا . .

وكان على أبناء مدينة الحكايات أن يحترموا اقتراح حكيمهم وأن يتركوا الفرصة للعجوز أن ينضم إلى عشيرة « مدينة الحكايات » . .

ترى هل سينجح رغم كل المخاطر . . ؟

ذلك هو السؤال . .

(٣٣)

وبـدأت الرحلـة المثيرة من أجـل الـوصول إلى بـوابة المستحيـل الثالثة ، واجتيازها .

مثيرة . . ترى أى إثارة هناك . . فلاشىء غير عادى بالمرة . . .

فبعد أن عبر الجميـع بوابـة المستحيل الثـانية ، اختفـى الحائط الزجاجى الخفى من حـول البساط الالكترونى ، وبدا الجو صحوا جميلا ، ليس به أى شائبة . بينما انطلق البساط فوق سهل أخضر. تملؤه أشجار الفاكهة وتفوح منه رائحة زهور الياسمين. والنرجس .

ولأول مرة تصيب الـدهشة الزملاء تبعـا لهذا الهدوء الذى يسود المكـان . فحسب كـلام العجوز فـإن هنـاك أشياء غـريبة سـوف تقابلهـم ، وتعترض طريقهـم ، وستمنعهم من الـوصول إلى بـوابة المستحيل الثالثة .

لذا علق كريم :

ـ ياله من شىء غريب !! . أين المغامرة . ؟

ردت مها مداعبة : لعلها ضاعت مثل الكلمة والمعنى . .

لمع وجه طارق ،، وهو يرد : .لا . . إلا المغامرة . .

همس العجوز : هش . . ش . . ش . .

راح يلـوح بيـده إلى الصغـار . وبـدت على وجهـه عـلامـات الاهتمام والتركيز كأنه يحاول أن يلمس شيئـا غير ملموس حوله . . برقت عيناه . وحرك أنفه . وقال :

ـ إنهم هنا . .

وقبـل أن ينتهى مـن جملتـه ، أحـس شريف بشىء يلمسـه . فصاح :

ـ ماذا . . عفريت ؟

أحس شريف كأن خفاشا قد التصق به ، ثم طار مرة أخرى . فتسرب الرعب إلى قلبـه . وانتقل بدوره إلى زملائه . هتفـت مها : ماذا جرى ؟

أشار العجوز إلى الصغار ، قائلا :

ـ إنه « الوطواط الخفى »

تمتم كريم فى دهشـة ، وهو يحاول أن يتراجع إلى الخلف ، غير مبال أنه يمكن أن يسقط بين لحظة وأخرى :

ـ ماذا تقصد ؟

(٣٤)

وجــد الجميع أنفسهم هذه المـــرة أمــام خـصم يختــلف . « فالوطواط الخفى » ليس سوى اسم لكـائنات غريبة لم يرها أحد . يمكنها أن تقاتل وتتكـاثر وتدمر جيوشا بـأكملها ، دون أن ينجح أحـد فى الإمساك بها ، لا أحـد يعرف أعـدادها ، ولا الأسلـوب الذى تحارب به ، فى بعض الأحيان قد تستعمل أسلحة تقليدية ، وفى أحيان أخرى تستعمل أسلحة معـاصرة ، كالبنادق الآلية التى تطلـق الرصـاصات الفتـاكة . وفى أحيـان كثيرة تستعمل أسلحـة مستقبليـة تنطلق منهـا الإشعاعـات المتقطعـة التى تصيـب البشر بأضرار فى عقولهم دون أن تسيل نقطة دماء واحدة .

بدت الخطورة ليس فى أن هذه الكائنات خفية ، لكن لأن أحدا لا يعرف أى سلاح يمكن أن تستعمل ، ولا الأرض التى يمكن أن تقاتل فوقها .

ومن جديد تغير إيقاع الأشياء . هتف العجوز :

ـ سوف ننزل إلى الأرض . . أخرجوا أسلحتكم . . السيوف . .

وأحـس الصغـار بالثقـة مـن جـديد فى أنفسهـم ، وتسربـت السعادة إلى قلوبهم . رغم المخاطر التى يمكن أن يقابلوها فى هذه المرة . ولعـل السبب فى ذلـك أنهم أحسوا بـأن « الفارس النـادر »

يمكنه أن يظهر مرة أخرى ، وأنه لابد سوف يخرج من ثوب العجوز ليصبح فتى شجاعا يخرج سيفه العملاق ويقاتل هذه الوطاويط الخفية .

ياله من أمر . هل يمكن مقاتلة « الوطاويط الخفية » بسيوف حقيقية ؟

ذلك هو السؤال . .

انطلق البساط العجيب على مسافة قريبة من سطح الأرض . وسرعان ما انطلقت الحواجز الشفافة تحمى ركاب البساط من الشر الذى أصبح مجسداً . فقد بدأت أصوات الوطاويط تعلو ، وكأنهم سوف يخترقون الآذان . . هتف أحد الصغار :

ـ إنهم كثيرون . . لا أحد يعرف عددهم . .

صاح طارق : علينا أن ننزل بسرعة . . سوف يقلبون البساط . .

هنا صاح العجوز :

ـ هيا . انزلوا . . تكاتفوا معا . ليعط كل منكم ظهره للآخر ، فالوطاويط الخفية تضرب كالجبناء على الظهر . .

وهنا تنبه طارق إلى حكمة كان قد قرأها يوما . .

(٣٥)

« الضربات التى لا تقصم ظهرى . تقويه » .

تلك الكلمات نطق بها الزعيم الهندى غـاندى يوما ما . أحس طارق بقيمة الكلمـة التى وراءها المعانـى الجميلة ، فازداد إصراراً على المجـابهة ، وأحـس بشجـاعته المفقـودة تسرى مـرة أخـرى فى جسده ، فهتف بصوت مسموع :

ـ لا . . لن يضربنا أحد على ظهورنا . .

سمع الزملاء عبارته فسرت الشجاعة إليهم ، أمسك كل منهم بسيفه الصغير ثم راح طارق وشريف يقفان ظهرا لظهر ، أما كريم ومهـا فقد فعـلا نفس الشـىء بينما ازدادت أصوات « الـوطاويـط الخفية » كأنها سوف تلتهمهم جميعا .

هنا بدا المشهد مهيبا للغاية ، فقد راح « الفارس النادر » ينسلخ ببطء شـديد مـن بين أنامـل العجوز ، كـأنه المارد يخرج مـن قنينة صغيرة ، وهـو يمسـك سيفـه العريـض النصـل ، والـذى لمع فى الهواء . .

ومع كل خطوة تزداد ملامـح الفارس النادر فى الظهور ، تزداد أصوات الـوطاويـط الخفية محاولة إثـارة الخوف والرعـب فى قلوب الجميع . . وكـأن ما يحدث ليس سـوى اختيار قـوى بين الطرفين المتصارعين .

لم ينشغل الصغـار هذه المرة بمـراقبة انسـلاخ «الفارس النـادر»

ولكنهم راحوا يطوحون بسيوفهم فى الهواء من أجل إبعاد تلك الوطاويط التى لا يراها أحد . لم تكن « وطاويط » بالمعنى المألوف بل لعلها كائنات متوحشة ، غريبة الشكل كثيرة العدد . يهيأ لمن يسمعها أنها تملأ الكون كله وتتنامى عددا وقوة . .

صاح كريم وهو يحاول حماية زميلته مها :

ـ إنهم أقوياء . . سوف يتغلبون علينا . .

وجاء صوت العجوز ، قبل بأن يتحول إلى « الفارس النادر » :

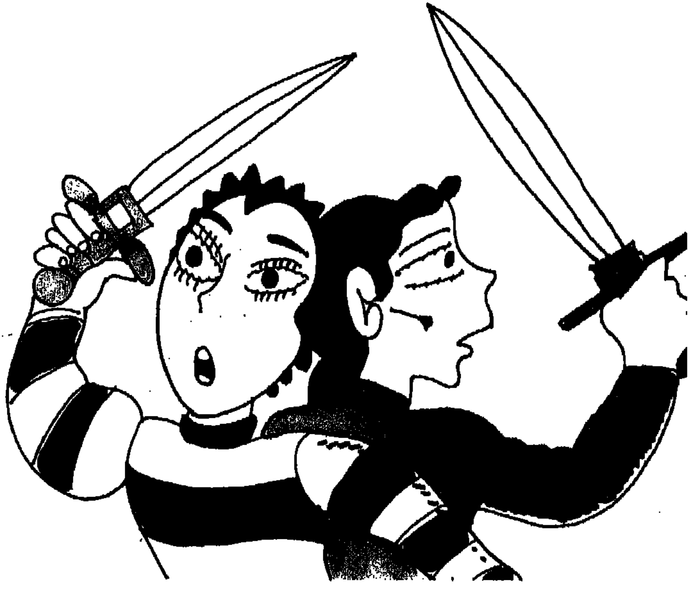
ـ تعلم أن القوة فى الحق . وابحث عما ضاع منك .

(٣٦)

وبدأت المعركة .

كانت فى مجملها حربا نفسية ، معقدة ، فأصوات الوطاويط الخفية تسد الآذان ويمكنها أن تصيب من يسمعها بالصمم ، لذا سرعان ما أمر الفارس النادر زملاءه الصغار بأن ينشغلوا بالغناء . وأن يحاولوا الضرب بسيوفهم الصغيرة قدر الإمكان ، ليس من أجل التخلص من كل هذه الجيوش المتناثرة من المخلوقات الوهمية . ولكن من أجل شرف الدفاع عن النفس حتى إذا مات المرء فى مثل هذه المعركة يكفيه أن يكون شجاعا .

قال طارق يائسا :



ـ سوف يتخلصون منا بسهولة . .

لم يسمعه أحد . فقط كانت الأصوات عالية . ولكن بدا كأن الحرب بالفعل هى حرب أعصاب ، فمثل هذه الجيوش الخفية يمكنها أن تتخلص من هذه الحفنة الصغيرة من البشر حتى ولو كانوا فى صحبة فارس نادر مثله .

بدا كأن هذه الوطاويط الخفية تود إصابة المجموعة الصغيرة بالانهيار العصبى وأن يسقطوا صرعى ، ولعل ذلك من مخططات زعيم المدينة الزرقاء فهو يود الحصول على « الفارس النادر » بأى ثمن ولعله يود أن يكون رهينته ، حتى يفكر أبناء « مدينة الحكايات » عشرات المرات قبل أن يرسلوا من يحاول إفساد مخططات « المدينة الزرقاء » الشريرة .

أحس « الفارس النادر » أن عليه أن يفعل شيئا ، ومع ذلك انتظر قليلا قبل أن يخوض معركته القادمة . ووقف يرقب الصغار وهم يكادون أن يشعرو باليأس من الإعياء . فصاح بصوت جهورى ملىء بالثقة :

ـ من العار أن تموت جبانا ! !

انطلقت كلماته كأنها طلقات المدافع ، فبثت الشجاعة فى قلوب الصغار ، وفجأة صاح شريف :

ـ أحس كأن سيفى أسقط واحدا . .

ورغم ضعف صوته ورغم الأصوات العالية التى تكاد أن تصم الآذان ، إلا أنه نطق جملته بفرحة وراح يطوح السيف مرة أخرى . .

هنا جاء صوت « الفارس النادر » :

ـ رائع . . إذن فنحن أمام عدو غير خفى . .

(٣٧)

لم يكن أمـام الفارس إلا أن يخبر مجمـوعته الصغيرة أنـه طالما أن أحد « الوطاويط الخفية » قد سقط من أثر ضربة سيف فمعنى هذا أنهم ليسوا أمـام كائنـات خفية ، أو غير موجـودة ، بل هـى هناك يمكنها أن تسقط لو قام المرء بمواجهتها .

راح يفـرد قـامته وبـدا كـأنـه سـوف يتحول إلى عمـلاق يسـد المكان . . وانطلق سيفه الخارق يتمدد فى يده وينفرد ، ثم استطال نصله حتى تحول إلى سطـح مرآة غريب الشكـل ، أسقطه فى الهواء وسرعان ما ظهرت الوطاويط الخفية على النصل .

كانت مخلوقات غريبة الشكل للغاية . فهى ليست بالوطاويط بل كائنات ضخمة الجسم عريضة الأكتاف . وتبدو رؤوسها بالغة الصغر ، كـأنها رؤوس ديكة ، بـل هى أقـرب إلى ذلك ، تبـدو لها مناقير تصيح بها تلك الصيحات المرعبة المثيرة للصمم . والخوف .

وفى رؤوسها أعراف زرقاء اللون تتحرك كأنها الأجراس .

صاح الفارس :

ـ انظروا . . هؤلاء هم خصومكم . . فقاتلوهم ! !

وسرعان ما ثار الخوف أكثر فى قلب الصغيرة مها . فهى لم تصدق أن المخلوقات بمثل هذا الشكل الغريب . صاح الفارس وهو يدفع بسيفه فى الهواء فيزيح العشرات منهم جانبا ويسقطهم فوق الأرض :

ـ لا تحكموا على الأشياء من ضخامة أجسادها . .

هنا تذكر كريم ما قرأه يوما عن حيوانات الديناصورات ، فقد كانت ضخمة الجسم ذات رؤوس صغيرة . ومع ذلك لم تستطع أن تواصل الاستمرار لأنها كانت من الضعف أن تفعل ذلك ، بينما استمرت كائنات أخرى ضعيفة كالنمل ، والكائنات الدقيقة أن تعيش حتى اليوم . لذا صاح :

ـ لكن سيوفنا ليست خارقة مثل سيفك . .

رد الفارس النادر وهو يزيح مجموعة أخرى من الوطاويط الخفية التى استطاعت صورتها أن تنعكس على نصل سيفه :

ـ ومن أخبرك بذلك . انظر إلى سيفك جيداً .



(٣٨)

يا إلهى إذن فكل منهم يملك سيفا خارقا دون أن يعرف .

راحوا ينظـرون إلى السيوف ورأوا أجزاء مـن أجساد المخلـوقات الخفية التـى تنعكس عل النصال فـاستبشروا فرحا . . وسرعـان ما دفع كل منهـم نصل السيف كى يـدفع به وطواطاً خفياً ، ويسقطه فوق الأرض .

وبدأت المعركة تتوازن إلى حد ما . .

وأحس الجميـع أن هناك جـدوى . فالكـائنات تتسـاقط وراء بعضها ، وكلما سقـط واحد منها ، اختفى وسرعـان ما يجىء غيره كى يهجم ويسقط ويختفى .

ولم يتوقف تدفق تلك الكـائنات . تهاجم ، فتسقط ، وتختفى ويظهر غيرها . . وتستمـر المعركة . . هنا أحـس الفارس أن هناك مؤامرة شديدة الـذكاء ، لاستمرار الحرب النفسية ، وحرب الإنهاك الموجهـة ضدهـم . وأنهم هكذا يمكنهـم القتال إلى الأبـد دون أن تحسم المعركة . . وتنبه إلى أهمية أن يفعل شيئا .

صاح : الآن . . علينا أن نهرب . .

فى البـداية لم يسمعـه أحد ، فقـد بـدت المبارزة بهذه السيـوف الخارقة أشبـه بلعبة جـذابة من الألعـاب الالكترونية المسليـة التى

يلعبون بها فى المنزل ، إلا أن الفارس النادر لم يشأ أن يكرر جملته . . كان عليه أن يفسح لنفسه الطريق وسط هذه الجيوش كى يفترش السجادة العجيبة فوق الأرض .

صاحت مها وهى تدفع بأحد المخلوقات الخفية بسيفها وتسقطه فوق الأرض .

ـ رائع . . خمسة وسبعون ألفا . .

كانوا كأنهم قد دخلوا فى لعبة العدد و الإحصاء ، وبدا من الغريب كأن هذه المخلوقات لا تود أن تقاوم بالمرة . . وأنها تهوى أن تهاجم وتتساقط وهى راضية تماما عما يحدث لها .

هنا تمكن الفارس من الوصول إلى البساط ، ونجح فى أن يفترشه فوق الأرض . فهتف مناديا الرفاق :

ـ هيا . . علينا الهروب بسرعة .

الا أن الصغار كانوا قد انغمسوا فى هذه اللعبة ، ولا يودون أبدا الخروج منها . .

(٣٩)

لم يكن أمامه سوى أن يجذبهم ، وأن يجعلهم يركبون البساط الالكترونى . وأن يسعى للهروب من هذه المعركة بأى ثمن ، فقد بدا كأن الصغار قد أسعدتهم اللعبة وجعلتهم ينسون تماما ما يجب أن يفعلوه .

ومـا إن ركبـوا البسـاط حتى كـان عليـه أن يتحـول بـدوره إلى مقـاتل ، فسرعـان ما انطلقـت منـه أشعة تكـاد تعمى الأبصـار . استطاعت أن تجسد أماكن وجـود الكائنات الخفية ، وتغلغلت إلى عيون تلك الكائنات .

وكانت مفاجأة . . فما إن يـرى أى منها تلك الأضواء المبهرة . حتى يتساقط فوق الأرض .

وبدت المعركة رهيبة واستطاع الحاجز الزجاجى الذى عاد ثانية للظهور حول البساط أن يتحول إلى مصـدر غريب للضوء المشع . وأن يفسح مكانا للبساط الالكترونى أن ينطلق دون أن يكون هناك ذلك الصـوت المزعج الذى ينطلق مـن قبل . فقد انشغلـت تلك الكائنات بنفسها واستطاع الضوء الشديد القوة أن يعكس صورتها وتتحول إلى كـائنات ملمـوسة وفى ذلك ضعـف شديـد لها . فلم تستطـع أن تستعمل أيـاً من أسلحتهـا الغـريبة التـى تملكها رغـم إمكاناتها الهائلة .

وكانـت رحلة بالغة الإثـارة من أجل اختراق صفوف كـل هذه الأجسام الخفيـة العملاقـة التى حاولـت أن تتكدس لمنـع البساط الالكترونى من الانطلاق واجتياز بوابة المستحيل الثالثة التى هى فى الحقيقة عبارة عن كم لا متناه من هذه المخلوقات .

وبعد ساعة كاملة مثيرة ، انطلق البساط مخترقا تلك الصفوف وتمكنت المجموعة من الوصول إلى حدود منطقة المستحيل ، وما إن تجاوزوها حتى أطلق الجميع تنهيدات عميقة تكفى أن تهز جبلاً ضخماً من الورق وتجعله يتناثر فى كل الكون . .

انطلقت صيحات الارتياح . ولم ينتبه الصغار أن العجوز عاد مرة أخرى إلى مكانه فى طرف البساط الالكترونى . .

فجأة وقبل أن يلتقطوا أنفاسهم سمعوا صوتاً غريباً يردد :

ـ رائع . . أخيرا عاد لى زوجى الذى أنتظره . .

يا إلهى . . ترى من تكون صاحبة هذا الصوت ؟

(٤٠)

برقت عينا العجوز ، وتمتم :

ـ الآن وصلنا بوابة المستحيل الرابعة .

وجد الصغار أنفسهم فى مكان كأنه الفردوس ملىء بالخضرة وخرير الماء والثمار الجميلة ذوات الروائح الشهية . وأمام البساط الالكترونى الذى حط فوق الأرض ، ظهرت امرأة بالغة الجمال ترتدى رداء أرجوانيا مصنوعاً بأكمله من أوراق الورد . أما شعرها ، فبدا أسود فاحما ، وهى تمسك بيدها وردة صفراء قالت :

ـ أعرف ان زوجى سيعود معكم :

تبادل الأربعة النظر إلى بعضهم البعض ، أما العجوز ، فقد انكمش وبدا كأنه رجل بلغ من العمر ثمانين عاما . اقتربت «الحسناء الأرجوانية » وقالت بصوت رخيم وهى تمد يدها كى تصافحهم الواحد تلو الآخر ,

ـ أهلا بكم فى مملكتى . « المملكة الأرجوانية »

ابتسمت مها بكل رقة وثنت ركبتها قليلا وكأنها تؤدى لها التحية وقالت :

ـ اسمى مها . . وهذا زميلى كريم . . وهذان شريف وطارق .

ابتسمت الحسناء الأرجوانية . وراحت تصافحهم بكل رقة . ثم قالت :

ـ لكننى كنت أنتظر فارسى . .

هتف طارق : فارسك . .

ردت : الفارس الذى انتظره منذ خمسين عاما . .

تمتم كريم : خمسين عاما . . لكن ماذا يكون عمرك . . ؟

قاطعته مها بكل رقة : ألم تتعلم أنه من اللياقة ألا تسأل امرأة عن عمرها ؟

قالت الحسناء الارجوانية : لا تهتم . السنون لا تهمنى . فهى لا تترك اثآرها علينا . .

العجوز يتكىء على مرفقيه ثم يقوم فى مكانه . . هنا تمتمت الحسناء الأرجوانية :

ـ تقول النبوءة . إنه سوف يدخل هذه المدينة فارس مغوار لم يهزمه أحد من قبل . ولم تشر قط إلى عجوز ومعه أربعة من الصغار.

ثم سكتت قليلا وقالت :

ـ النبوءة فى بلادنا لا تعرف الكذب . . كما أن العواجيز لايدخلون ديارنا .

سأل كريم : لماذا ؟

ردت الحسناء : نحن هنا نريد أن نحطم أسطورة الفناء . . فالرجال يصنعون الحياة . . ونحن بحاجة إلى الحياة .

بدت كلماتها مؤثرة وشديدة الجاذبية ، وبعد قليل ظهر حيوان غريب الشكل أقرب إلى الحصان والجمل فى نفس الآن ، وفى مقدمة رأسه ريشة متعددة الألوان ، أما ذيله فأقرب إلى ذيل الخرتيت . . سرعان ما نزل إلى الأرض كأنه يدعو الجميع للركوب فوقه . ثم قالت :

ـ إنه « الحيوان المختلط » . . سوف يوصلكم إلى بيت الضيافة . . وفى بيت الضيافة كانت هناك مفاجآت .

العجوز يتكىء على مرفقيه ثم يقوم فى مكانه . . هنا تمتمت الحسناء الأرجوانية :

ـ تقول النبوءة . إنه سوف يدخل هذه المدينة فارس مغوار لم يهزمه أحد من قبل . ولم تشر قط إلى عجوز ومعه أربعة من الصغار.

ثم سكتت قليلا وقالت :

ــ النبوءة فى بلادنا لا تعرف الكذب . . كما أن العواجيز لايدخلون ديارنا .

سأل كريم : لماذا ؟

ردت الحسناء : نحن هنا نريد أن نحطم أسطورة الفناء . . فالرجال يصنعون الحياة . . ونحن بحاجة إلى الحياة .

بدت كلماتها مؤثرة وشديدة الجاذبية ، وبعد قليل ظهر حيوان غريب الشكل أقرب إلى الحصان والجمل فى نفس الآن ، وفى مقدمة رأسه ريشة متعددة الألوان ، أما ذيله فأقرب إلى ذيل الخرتيت . . سرعان ما نزل إلى الأرض كأنه يدعو الجميع للركوب فوقه . ثم قالت :

ــ إنه « الحيوان المختلط » . . سوف يوصلكم إلى بيت الضيافة . . وفى بيت الضيافة كانت هناك مفاجآت .



كان على العجوز أن يكشف سر هذه الأرض الغريبة التى حطوا عليها فجأة وأن يشرح للصغار أسباب عدم كشفه عن هويته كفارس ، ورغم أن العجوز حاول أن يتكتم الأمر تماما . فإنه بعد إلحاح من رفاقه الصغار انتحى بهم ركنا فى بيت الضيافة وراح يشرح لهم كل شيء .

أخبرهم أن أهمية هذه الرحلة هى استعادة المعانى المختفية . وأن أهم ما فى معانى الأشياء هو فهم حقيقتها . فليس من الحكمة أن تحكم على الأشياء من ظاهرها ، ورغم روعة تلك المدينة وجمالها فإنها تخفى مآسى عديدة راح ضحيتها مئات من الرجال الذين حاولوا اجتياز بوابة المستحيل الرابعة . فالرجال الذين يصلون إلى هذا المكان عليهم البقاء فيه إلى الأبد . سواء شاءوا أم أبوا . . وما إن يستقروا بعض الوقت حتى يكتشفوا أنهم فى سجن طويل لابد من الخروج منه بأى ثمن .

وما إن تحس الملكة بذلك حتى ينتابها الفزع وتأمر بتحوله إلى وردة أرجوانية تروح تضيفها إلى ردائها الأرجوانى الشهير . . الذى لا يفقد نضارته أبدا . .

هنا هتف شريف :

ـ إذن فكل هذه الورد بمثابة رجال مسحورين .

هز العجوز رأسه قائلا :

ـ إنها امرأة تمتلـك مـن القوى الشريـرة مـا يجعلنا لا نستطيـع مجابهتها . . هل نسيتم ؟

وتذكر الصغار أن المعركـة مع أى خصم يجب أن تكون نبيلة . وبالسيف فى المقام الأول . ولأن السحر لا يمكن مجابهته بالسحر . لذا أكمل العجوز :

ـ يجب أن نجابهها بالحيلة !!

ـ الحيلة . . ترى أى حيلة يمكن بها مواجهة تلك المرأة ؟

كان ذلك هو السؤال الذى طرحه طارق . . قال العجوز :

ـ لا تنسوا أننـا الآن واقعون فى دائرة بوابة المستحيـل الرابعة . . وعلينا أن نتصرف بكل ذكاء . .

ولم يكن أحد يدرى أنه فى تلك اللحظـة كان هناك شخص ما يستمع إلى ذلك الحوار .

(٤٢)

كان الاختيار صعباً والوقت حرجاً . .

فهل على العجوز أن يكشف هويته أمام الحسناء الأرجوانية وأن يضطر إلى الزواج منها أم يخدعهـا ويسعى للتخلص منها ؟ . . أم يجب أن يكون حذرا ويسعـى للهرب منها مثلما هرب فيها قبـل من مواجهة الوطاويط الخفية ؟

راح النقاش يدور عما يمكن أن يفعلوه . . ولم يتوصل أحد إلى الحل الأمثل لمثل هذه المشكلة العسيرة . .

بعد قليل جاء مندوب من « الحسناء الأرجوانية » يعلن عن حفل العشاء الذى تم إعداده على شرف أبناء المدينة الأرجوانية الجدد .

بدت التسمية غريبة ، وأحس العجوز بالانزعاج . فماذا تعنى عبارة « أبناء المدينة الجدد » ، هل سيصبح كل من طارق وشريف وكريم ومها من مواطنى هذه المدينة ؟ باعتبار أنهم سوف يكبرون وعليهم أن يصبحوا يوما ما من الورود النضرة فى المدينة . .

هنا أحس العجوز بأن الهرب هو الطريق الحتمى ولامفر . . لكنه لايعرف كيف الخروج من هناك . وهو يخشى أن يكون الجدار الأكبر قد ارتفع ليسد أى طريق للخروج ، فلاشك أن الأميرة فتحت أبواب المستحيل الأربعة التى تنفتح دائما ولاتنغلق والآن لايمكن أبدا الإفلات مهما كانت إمكانات البساط العجيب .

وقبل أن يدلف ضيوف « المملكة الإرجوانية » ، راح العجوز يهمس فى آذان الصغار ألا يتناولوا المشروبات التى تقدم لهم مهما كانت الإغراءات ومهما بدا طعمها جميلا أو شهيا .

ولكن الإغراء كان قويا .

والرائحة كانت نفاذة .

والمشروبات كانت لذيذة الطعم ، خاصة شراب الشكولاتة البيضاء ، النفاذ الرائحة . لم يستطع العجوز أن يتدخل مباشرة فى منعهم أن يرتشفوا قطرة واحدة لكنهم طلبوا المزيد . . وبدت بطونهم كأنها يمكن أن تتسع لبحر من الشيكولاتة اللذيذة ، ثم فجأة هبط عليهم النوم . .

وغاصوا فى مقاعدهم كأنهم لم يعرفوا النوم منذ عام بأكمله .

(٤٣)

فجأة ، ساد القاعة الصمت .

وانسحبت الوصيفات من المكان وبقى العجوز وحده وأمامه مباشرة جلست « المرأة الأرجوانية » ، ظلت تنظر إليه كأنها تحاول أن ترى فيه رجلا آخر تبحث عنه جيدا . . ثم قالت :

ـ الآن . . يمكننا أن نعقد الصفقة . . مارأيك . . ؟

وبصوت ملئ بالشباب والقوة تكلم العجوز قائلا :

ـ لقد عرفت كيف تتصرفين . ياساحرة الورد . !

نظرت المرأة إلى الصغار الذين يغطون فى النوم وقامت من مكانها واقتربت منه كأنها تتوسل إليه وقالت :

ـ انظر ، الصغار لم يسمعوا أوامرك أيها الشاب العجوز . أما أنا فلو تزوجتني فسوف أكون لك خادمة أطيعك قبل أن تأمرني ، وأهديك تاج السعادة . .

رد العجوز بنفس النبرة المليئة بالشباب :

ـ سيدتي . لقد مررنا من هنا من أجل هدف نبيل .

قاطعته قائلة : وأنا أيضا لا أهدف سوى الزواج بك . أعرف أنك أيضا فارس نبيل . ولماذا لانصنع من هذا المكان عالما من النبل .

بدا صوتها مليئا بالجاذبية والرقة ، أحس كأنه سوف يسقط فى بحر جاذبيتها . وأن عليه أن يقاوم حتى آخر حرف من حروف كلماتها المعسولة . فهى دائما ماتقول هذا الكلام ثم تمارس كل مالديها من شرور .

لذا قال :

ـ لقد ضاع منا شيء ثمين علينا أن نستعيده .

همست بنفس الصوت الساحر :

ـ الآن . . لن يضيع منك شيء أبداً . . اطلب يُلبى لك ماتريد .

قال : أريد « الكلمة » . .

هنـا انقلـب وجههـا . وبدأت مـلامـح الشر تكسـوهـا . وصرخت :

ـ لا . . إلا هذه . . إنها ليست ملكا لى .

وقف العجوز وتكلم بكل ثقة :

ـ هذا ما أطلبه . .

(٤٤)

ردت وقد بدا الضعف مرة أخرى على وجهها وملامحها :

ـ لا أستطيع أن أعدك . .

قال : تعالى معنا نبحث عنه . .

ردت : لا أستطيع مغادرة هذا المكان . . سوف أموت .

تمتم : جميعنا سوف يموت . . اليس كذلك ؟

راحت تردد وكأن الكلمات جاءت من الأعماق : جميعكم . . أما هنا فالموت يتحُول إلى . .

وقبل أن تكمل قاطعها : مجموعة من الورد . . هنا . .

وبكل قوة نزع عنها بعض الورد التى تزين بها كمها الأيمن . وألقى بها فى الأرض . وقبل أن تصرخ المرأة بصوت عال سقطت الورد فوق الأرض ، وسرعان ماتحولت إلى رجال أشداء وقف كل منهـم يشهـر سيفـه فى مـواجهة العجـوز ،صرخـت السـاحـرة الأرجوانية فى الرجال :

ـ امسكوه . . لكن لاتقتلوه ! !

وتحركت الأحداث بسرعة ، فقد اندفع خمسة رجال أشداء نحو العجوز كي ينفذوا أوامر الساحرة التي اكتسى وجهها بغضب وحشي ، راحوا يشهرون أسلحتهم ، وأحاطوا بالعجوز الذي كان عليه أن ينسلخ بكل سرعة وأن يخرج سيفه الخارق من أجل مواجهة خصومه الجدد .

صاحت المرأة عندما رأته وقدملأ المكان بقامته المهيبة وهو يشهر سيفه :

ـ آه . . فارسي المفقود . .

وقف « الفارس النادر » يفرد سيفه في الهواء فبدأ يلمع ويسقط أشعته الذهبية على المكان من حوله ، صاحت المرأة :

ـ أحضروه . ولاتقتلوه . .

لم يكن يمكن لأحد من الرجال أن يقترب من الفارس حتى ولو أمرت الساحرة بذلك . فقد بدا كأنه سينتصر حتى ولو تصدى له أضعاف هذا العدد من الرجال والفرسان .

هنا قال الفارس موجها كلامه إلى الرجال الذين ترددوا في الهجوم عليه :

ـ اقبضوا عليها . فهي التي حولتكم وأصدقاءكم إلى ورد .

وبدت الحيرة على وجوه الرجال .

(٤٥)

وبكل مهارة اخترق الفارس النادر صف مهاجميه ثم ضرب الفستان المصنوع من الورد الارجوانية فسقط فوق الأرض . . وعلى الفور بدأ الرجال يقومون الواحد تلو الآخر بينما تحولت الساحرة إلى هيكل عظمى ماثل أمام الأعين ، أما وجهها فكان لايزال كما هو لم يتغير .

اعتراها الغضب وصرخت قائلة :

ـ أيها الشقى ، لقد جنيت على نَفسك ومكتوب عليك أن تتحول إلى وردة ذابلة منذ الآن .

ثم التفتت إلى رجالها وصرخت :

ـ الآن . . اقتلوا هذه الوردة الذابلة . .

أصبح عدد المقاتلين هذه المرة ضخما ، فسرعان ماتحولت الورد الكثيرة إلى بشر وفرسان ، صحوا فجأة من رقادهم بعد أن كانوا بمثابة نيام فى أحضان الأميرة الأرجوانية .

بدا الموقف مثيرا ، وقد التف الرجال حول المرأة عليهم أن يسمعوا أوامرها وأن يمتثلوا لها . والغريب أنهم وجدوا فى أيديهم

سيوفاً ذات أشكال غير مألوفة مصنوعة من النحاس اللامع تبرق في الهواء إذا تحركت . صاحت المرأة الشريرة :

ـ اكسروا له سيفه . فسيوفكم أقوى .

وقف الفارس النادر أمام خصومه الجدد ، وقد أشهر سيفه . وثبت قدميه في الأرض كأن رياح الدنيا كلها لاتستطيع أن تنتزعه من مكانه . وراح يستعد لمواجهة كل الاحتمالات وهو يفكر ، إنه يعرف جيدا أن القوة تغلب الشجاعة . وأن عدد هؤلاء الرجال كاف أن يتغلب عليه مهما كانت شجاعته ومهارته . .

لذا قرر أن يغير من إستراتيجية المواجهة . . لكنه لم يغير من وقفته وهو يستعد لكل الاحتمالات . . فجأة قال :

ـ أيها الأبطال . . هل تعرفون من أين جئتم ؟

وعلى أثر إلقائه هذا السؤال توقف زحف هذا الخصم الهائل من الرجال الأقوياء ، الفرسان القدامى . وبدا كأن شيئا ما سيحدث . .

(٤٦)

بدا الشرود على الوجوه التي امتلأت بالتساؤل . . نظر أحدهم إلى الآخر ، كأنه يسأله عن إجابة هذا السؤال . ثم راح

الجميع يتبـادلون النظرات فيما بينهـم . وكى يقطـع أى تساؤل أو تردد . أشار الفارس النادر إلى المرأة ، الشريرة وقال :

ـ إذا لم تكونواتعرفون فاسألوا هذه الحسناء الشريرة .

وتطلعت عيـون الفرسان إلى المرأة وحـاولوا أن يتذكـروا آخر شـىء حدث لهم قبـل قليل ، لكـن الـذاكرة بـدأت وكأنها قـد محيت . هنا هتف الفارس .

ـ هل تشمون روائح الورد الأرجوانية فى ملابسكم ؟

وهتفـوا جميعـا فى صـوت واحـد خـارج مـن أعماق القلـوب وبشكل جعل المكان ينفجر من قوة أصواتهم :

ـ طبعاً . .

وسأل الفارس من جديد : هل تعرفون من أين هذه الورد ؟

صاح أحد الفرسان : آه . . لقد تذكرت . .

وتنهد الفارس وهو لايزال متشبثا فى مكانه : يا إلهى ! !

وتعالت الصيحات متتالية ، خارجة من الحناجر قوية شرسة والأصابع تشير إلى السـاحرة التى بدأت فى التراجـع إلى الخلف هلعاً :

ـ آه . . إنها هذه الشريرة .

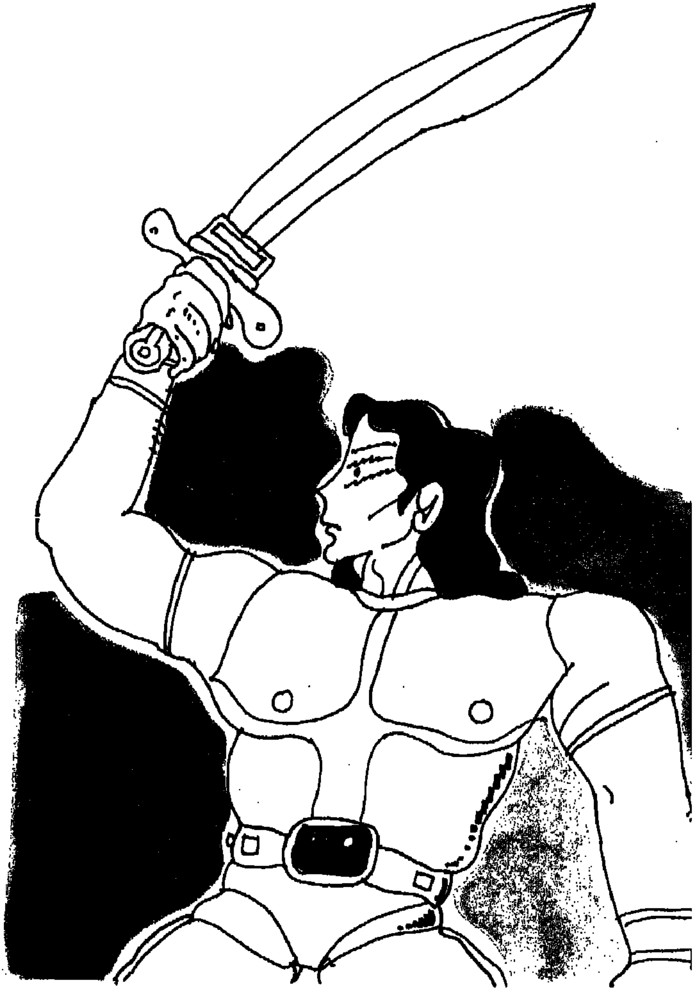
وبدءوا فى الالتفاف نحوها وسرعان ما استبد الرعب فى قلبها وقررت أن تتراجع وأن تهرب من المصير الذى ينتظرها . . لقد قرر الجميع أن يجعلها تذوق من نفس الكأس . فجأة تماسكت وتغيرت ملامح وجهها ووقفت ، وقد لمعت علامات الشر على بشرتها وصرخت :

ـ الآن سأعلمكم كيف تتمردون علّى . . ستكونون ضفادع تسبح فى البركة . . كونوا ضفادع . . كونوا ضفادع . !!

كان صوتها خشناً ، كأنه صادر عن ضفدعة عجوز ، تئن . وتتألم ، راحت تشير بيديها إلى الرجال الذين يتقدمون نحوها . وفجأة انطلق شعاع قوى قادم من السيف الخارق الذى دفعه «الفارس النادر» وبدت الأحداث بالغة الإثارة .

(٤٧)

أمسك « الفارس النادر » سيفه ، ورفعه عاليا ، وسرعان ما انعكست على نصله العريض صورة الساحرة وهى تأمر الأشخاص الذين أمامها أن يصبحوا ضفادع وما إن عكست السيوف صورتها هى حتى بدا كأنها تأمر نفسها أن تصبح ضفدعة .



وعلى الفـور تغيرت الأشياء ورأى الجميـع أمـامهـم ضفدعـة صغيرة تقف مكـان الساحـرة ، والغريـب أن الضفدعـة لم تكن داكنة اللون بل أرجوانية ، سرعان ماقفزت واختفت فى مياه البركة الصغيرة التى كانت خلفها .

هنا تنبـه الزمـلاء الأربعة مـن نومهـم ، ورأوا ذلك الحشـد من الرجـال الذين يملئـون المكان . . ورجـلا عجوزاً يقف أمـامهم يقول :

ـ هيـا يارفـاق . . علينا أن نعبر بـوابة المستحيـل الخامسة . . فوقتنا ضيق .

سأل كريم : أخبرنا ماذا حدث؟

رد فى عجالة : سوف أروى لكم كـل شىء بالتفصيل ، الآن علينا أن نهرب من هنا . .

هتـف طارق : أنـت دائما تهرب . هـذه أول مـرة أرى فارسـا يهرب .

كان العجوز قد فرد البساطـالالكترونى ، وراح يضع قدميه عليه ، قال وهو يشير إلى الصغار :

ـ لكل مقام مقال . . سوف تفهمون كل شىء فيما بعد . .

تمتم شريف :

ـ لكل مقام مقال : : يالها من كلمات ويالها من معان ! !

ابتسم العجوز من أعماق قلبه وردد :

ــ الآن . . اقتربنا من المكان الذى توجد فيه المعانى والكلمات . وعلينا أن نسرع إليه وألا نتركها حبيسة الجبل الذهبى .

(٤٨)

فى « مدينة الحكايات » ، سرعان ماتسربت الأخبار السعيدة عن نجاح الفارس النادر ومعه رفاقه الصغار من اجتياز بوابة المستحيل الرابعة . لقد استطاع أن يتغلب على تلك العقبة الشديدة الوطأة باستخدام فروسيته ونبله ، ولم تسل نقطة دم واحدة . . وهاهى الساحرة الشريرة قد تحولت إلى ضفدعة أرجوانية تسبح الآن فى البحيرة ، وعلى الرجال أن يستعدوا للرحيل إلى بلادهم التى جاءوا منها ذات يوم . . فأغلبهم أيضاً من أبناء الحكايات القديمة . . التى نسيها الناس الآن . .

وبينما أقام حكيم مدينة الحكايات حفلا صغيراً لبعض أبناء المدينة من مشاهير أبطال الحكايات ، أعلنت حالة الحداد العام فى « المدينة الزرقاء » فلاشك أن ماحدث عند بوابة

المستحيل الرابعة ، يعتبر كارثة . لكنه أبدا ليس نهاية عالم الشر، كما يرى « الشبح الأزرق » . الذى كلما أصيب بحالة من الإحباط الشديد حاول أن يجد المبرر الجديد من أجل المواجهة القادمة .

وقف أمام أحد أتباعه وجاءت كلماته على الشاشة :

ـ طالما أن إمبراطورية الشرقائمة . . فالمدينة الزرقاء فى سعادة ووئام .

ثم ظهرت كلمات أخرى مكتوبة على لسان « الشبح الأزرق» :

ـ إنهم لايعرفون أبدا ماينتظرهم عند بوابة المستحيل الخامسة .

وعلى الشاشة بدت ضحكته التى تحولت إلى قهقهة ، ثم راحت الشاشة تهتز مما يدل أن « الشبح الأزرق » يضحك كما لم يفعل من قبل فى حياته . أحس بعض أتباعه أنه بذلك يخفى الفشل الذريع الذى منى به كزعيم . وفسر البعض الآخر السبب فى أنه يعرف جيداً أن نهاية « الفارس النادر » قد اقتربت وهو يرنو الآن من «بوابة المستحيل الخامسة » .

(٤٩)

فعلا ، إنها «بوابة المستحيل» .

فهنا لاتوجد أى حقيقة ، ولاتوجد أشياء ثابتة على حالها . . إنها مدينة المتغيرات والتحول ، حيث لايمكن للمرء أن يرى نفس الشيء فى نفس النظرة الواحدة . . فالرمال تصير أمطاراً . . والصحراء تتحول فى غمضة عين إلى غابات مليئة بالوحوش . ثم ماتلبث أن تتحول إلى بحار واسعة وتندفع فيها العواصف الباردة ، كى تصبح بعد قليل موجة ساخنة .

ولم يشأ العجوز أن يخبر أحداً من رفاقه عن طبيعة المكان الغريب الذى هم مقبلون عليه حتى لايتسرب الخوف إلى قلوبهم رغم أنهم الآن قد أصبحوا أكثر اعتيادا على مواجهة المصاعب .

وبينما البساط العجيب يحلق فى الجو ، أمسك العجوز بنظارات داكنة الزجاج ، وقال :

ـ ضعوا هذه النظارات فوق عيونكم . . ستشاهدون المناظر المثيرة . .

وراح كل منهم يضع نظارته فوق عينيه . هنا صاح كريم :

ـ يا إلهى . . أرى أشيـاء جميلة . . إنه بحر واسع . . بـل غابة جميلة . .

هتفـت مهـا : لا . . بـل هنـاك سيرك ضخـم ، لا . . إنها شلالات متدفقة بالمياه . .

وصرخ شريـف قـائلا : يا إلهى . . إنها السماء الـزرقـاء مليئـة بالأسماك بل بالحيتان ، لا ، لا . . إنها صحراء . .

تداخلـت كلمات الصغار المليئة بـالإبهار والرهبـة . . وراحوا يعبرون عن دهشتهـم الشديدة ممـا يرون . . كانـوا يتصورون أن تلك المناظر الغـريبة من تأثير نظارات العجائب ولم يكـونوا يعرفون أنها الحقيقة .

قال العجوز :

ـ لاتخلعوا هذه النظارات، استمروا فى الرؤية فهذه فرصة نادرة لم تتح لأحد من قبل .

كـان على العجوز أن يبرمـج البساط الالكترونـى كى يمكنـه الطيران فى مـواجهة كـل الظـروف الطـارئة السريعة التغير التـى تقابلهـم . وتعمد أن يبلـغ الصغار بضرورة عـدم نزع النظـارات حتى يتفرغ وحده لمواجهة ذلك المجهول الذى ينتظره .

هنا صاح طارق :

ـ انظروا ماذا أرى . . إنه كائن غريب . .

(٥٠)

وسرعان ما أكمل :

ـ لقد اختفى . . هل رأيتموه ؟

هتفت مها : طبعا . . أراه . لكنه فعلا اختفى . .

علق كريم : ياه . . إنه غريب الشكل كأن له ألف رأس ورأس . .

قال العجوز : إنه التنين الطائش . .

بدا الاسم غريبا للغاية . لقد شاهد الصغار تنيناً له ألف رأس ورأس وربما أكثر من ذلك بكثير . كل رأس منها تختلف عن الأخرى ، تتغير فيما بينها . وتبدو متوحشة فى مجملها ، اختفى التنين المشاكس مثلما ظهر فجأة وسرعان ما ظهر المحيط السرمدى كى يصب فى شلال داخل صحراء ابتلعت كل مياهه .

بدت المناظر كأنها مجموعة لقطات معروضة بسرعة هائلة على شاشة سينما مجسدة ، والغريب أن الصغار لم يحسوا بأى خوف ، حتى التنين نفسه ، حيث تصوروا أن مارأوه ليس سوى فيلم خيالى لم يسبق لأحد أن شاهده .

اقترب العجوز فجأة من طرف البساط الالكترونى ، وكأنه يتأهب للقفز من أعلى إلى بحر غير موجود . . كان الصغار فى تلك اللحظة منشغلين برؤية المناظر المثيرة المتتابعة ، أما العجوز فبدا ، كأنه ينتظر شيئا ويتحين وقتا بعينه فجأة هتف :

ـ الآن ، جاء الدور . .

وقفز فى الفراغ وبسرعة وكأن عليه أن يرى بنفسه فى البحر الذى سيظهر خلال ثوان وسيختفى أيضاً خلال ثوان .

وبينما هو يقفز فى الجو بداوكأنه يطير ، وراح ينسلخ ليصبح الفارس النادر . .

ضاع « الفارس النادر » .

هذا هو الانطباع الذى ساد « مدينة الحكايات » ، حين رأوا العجوز يلقى بنفسه فى الفراغ ، لم يعرف أحد أين اختفى . شاشات الرادار المتطورة التى تمتلكها المدينة لم تستطع أن ترصد بالضبط أين وقع الفارس أثناء قفزته ، هل غاص فى الرمال الساخنة التى ظهرت قبل المحيط الواسع . أم رمى بنفسه فى أعماق سمكة كبيرة ظهرت فى المحيط ؟ .

وسرعان ماعقد الاجتماع الطارئ الذى لايحدث إلا عند أشد الأمور خطورة . . ودارت المقترحات بسرعة تناقش الموقف ، لم يكن هناك وقت للثرثرة ، بل كان الاقتراح هو سرعة تشكيل فرقة إنقاذ مكونة من عنترة العبسى وسندباد وعلاء الدين الذى عليه أن يأخذ معه مصباحه السحرى . والأميرة ذات الهمة من أجل البحث عن فارسهم النادر واستعادته بأى ثمن .

فلاشك أن الموقف خطير للغاية .

لكن ، ترى أين ذهب الفارس النادر حقيقة ؟

(٥١)

كان قد هتف وهو ينسلخ من الرجل العجوز :

ـ يجب أن أقاتله . . إنه هناك . .

لم يسمعه أحد يردد تلك العبارة ، حتى أجهزة الرصد المتطورة الموجودة فى مدينة الحكايات ، أو فى « المدينة الزرقاء » ، وبسرعة راح يغوص فى مياه محيط واسع ، كان عليه أن يصبح غابة شاسعة بعدقليل ، لكن المهم أنه غاص فى المحيط ، فالمحيط لايذوب فى بوابة المستحيل الخامسة ، ولكنه يتحرك بسرعة . وراء كافة أشكال المسطحات الواسعة كالصحراء ، والغابات .

والسماء الزرقاء ، والأفق البعيد ، ولذا يبدو لمن ينظر إليه بالعيون المجردة ، أو حتى بتلك النظارات السوداء أنه خداع البصر .

إنه يعـرف أن التنين المشاكس موجـود هناك الآن ، فى أعماق المحيط ، فهـو المكان الوحيد الـذى يختفى فيه ، قبـل أن ينقض مهاجما على أى شىء يود اقتناصه . .

لكن ، هناك مفاجأة مثيرة . .

فبينما هو يقفز ناحية المحيـط ، وقبل أن يسقط سرعان ماتحول المحيط إلى صحراء شاسعة خضراء اللـون وأصبح عليه أن يسقط فوق رمال ساخنة يمكنها أن تلهب جسمه .

ولكـن قبـل أن يصـل إلى الصحراء ، كـانـت قـد تحولـت إلى مجموعة من البرك ، المليئة بالرمال المتحركة .

هنا بدا الخطر جاثماً فصاح :

ـ ياه . . يبدو أنها النهاية المحتومة . .

ولكن ، بسرعة أمسك سيفه وهـو يتطوح فى الهواء وبكل قوة راح يرفع السيف فى الجو ، فاندفع من جديد إلى الأجواء العليا . ولم يسقط أرضا ، بدا السيف كأنـه قد جذبه لأعلى وقد تحول إلى مظلة نأت به بعيدا عن الخطر . .

وبينما هـو يطير ، ظهـر الحصـان الأشقـر الثـلاثـى القـرون والمتعدد الألـوان ، راح يتقدم نحوه فى الجو كـأنه يعرف طـريقه جيدا .

والتقى الفارس ، وحصانه الأشقـر الشعر فى الجو ، بدا اللقاء حميما . . راح يربت عليه قبل أن يركبه وهو يهتف :

ـ شكرا ياصديقى . . أنت تعرف متى تظهر !!

لم يكن هناك وقت ، فلا شك أن البساط العجيب قد يواجه خطرا مع ركابه الصغـار ، ولذا أسرع الفارس نحو الأرض المتقلبة التى لاتستقر على حـال . وكان عليه أن يواجـه تلك الأرض . التنين المشاكس .

من جديـد كان عليه أن ينتظر ، أن يظهر المحيـط الواسع . وراح يرقب بكل حذر ثم صاح فجأة :

ـ هيا . . لقد آن الأوان . .

كان عليه أن يقفز فى الجو قبل أن يظهر المحيط الواسع . وبدا كأنه فى سباق مع الثوانى .

(٥٢)

وقفز الحصان الأشقر . . وكانت قفزته أسرع من كسور الثوانى

وغاص براكبه فى المحيط فتناثـرت المياه الهائلة وأحس بها تبلله فهتف :

ــ لقد بلغنـا المراد . . نحـن هنا فى المحيـط . . أرض التنين المشاكس . .

وغاص الاثنـان فى أعماق المحيط الواسـع الذى ليـس له أول ولا آخر ، ولايعرف أحد كيف يصـل إليه ، وفى الأعماق اندفع الحصان بكل قوته ، كأنـه يخترق الصحراء ، كأن كل شىء معد له عدتـه .. فعلى الفارس أن يبقى دقائق قليلـة تحت المياه حتى لايدوخ مـن الاختناق لذا بـدأت المطاردة بـالغة الإثارة وشـديدة التعقيد .

لم يكـن الفارس النـادر بحاجـة أن يـذكر صـديقه الحصـان الأشقـر بما عليه أن يفعـل . فقـد راح يجوب البحر ويخترق الميـاه ولكن التنين لم يظهر بعد . .

بدا الجو حـرجاً . . ولم يكن أمامـه سوى سيفه ، فـراح يفرده لأعلى . وسرعـان مـا أصبـح النصل عـريضـا راح يعكـس كـل مايمكن أن يراه أمامه .

ولم يكن الفـارس النادر فى حـاجة أن يفـرد سيفه ، فقـد كان

التنين هناك ، لقد ظهر بألف وجه ووجه . كل وجه يختلف عن الآخر ، وجوه حيوانية . وبشرية وكائنات خرافية تشع منها البشاعة والخوف ، ووجوه نسائية مليئة بالرقة .

فوجئ به أمامه . كأنه يتساءل : هل تبحث عني ياصديقى ؟

رفع الفارس سيفه فى الجو ووقف أمام خصمه وقال :

- ربما . لقد جئت إلى هنا كى آخذ الإذن بالمرور .

وبدا الأمر مثيرا للحيرة ، فمنذ قليل كان يمكن للمرء أن يتصور أن معركة شرسة دامية يمكن أن تدور بين الطرفين . لكن هاهو الفارس النادر يحيى التنين ذا الألف وجه ووجه ويقول له :

- أنا هنا فى مملكتك . ضيف لديك .

وسرعان ماتحول التنين المشاكس الشرس إلى كائن وديع . وراحت رؤوسه تهتز فى امتنان وكأنه يقول :

- جئت سهلا إلى بيت التنين . .

ياله من لقاء غريب حقا ! !

قال « الفارس النادر » :

- هذا هو صديقنا المشترك الحصان الأشقر . قد جاء بى

لألقاك . نحن فى طريقنا إلى بلاد المعنى . .

بدا التنين كأنه يقول :

ــ لكــن من الصعــب على أحــد أن يصــل إلى حيث يــوجــد المعنى، إلا لمن يقدر قيمته . .

تمتم الفارس :

ـ معى مجموعة من الصغـار يقدرون ذلك . بعد أن ضاعت منهم الكلمات . .

وبدا التنين كأنه يتساءل :

ـ هل يعنى هذا أن هناك من يقدر قيمة الكلمة .

هز الفارس رأسه وقال :

ـ إنهم مستعدون أن يضحوا بحياتهم من أجل استعادة الكلمة التى ضاعت .

بدا التنين كأنه يهتم بكل مايقال . فلاشك أن هؤلاء الصغار الأربعـة الذيـن نجحـوا فى اجتيازكـل هذه البـوابـات التى يقـف المستحيل عليها ، وقـد وصلوا إلى هذا المكان مـن أجل الصعود إلى الجبل الذهبى جادون فيما يبحثون عنه .

وسرعان ماتنحى التنين جانباً وظهر نفق طويل مضاء بالفوسفور البحرى ، راحت إحدى رؤوس التنين تشير إليه . كأنها تطلب من الفارس أن يدخل ويعبر النفق .

وعندما وصل الفارس إلى البوابة التى انفتحت كان عليه أن يودع صديقه الحصان الأشقر ، وأيضا التنين الذى أدرك مدى جدية القادمين من بلاد الكلمات الضائعة .

وما إن اجتاز بوابة النفق الفوسفورى حتى وجد نفسه أمام البساط الالكترونى فى مكان مضاء بأضواء فوسفورية . .

وكان اللقاء حاراً للغاية بين الفارس النادر وبين الصغار .

(٥٣)

راح العجوز يحكى لهم قصة لقائه مع التنين المشاكس ، وعن الحوار الذى دار فيما بينهما حتى سمح له أن يجتاز بوابة «المستحيل الخامسة» .

قال شريف :

ـ لماذا لم تقتله ولديك السيف الخارق ؟

رد كريم : ولماذا لانحاور الخصم قبل أن نبارزه ؟

هتف العجوز وقد اكتست عبارته بالفرحة :

ـ رائع . . لقد وصلنا إلى الهدف الأخير . .

هنا تنبه الصغار إلى أنهم عند عبور كل بوابة من بوابات المستحيل كانوا يتوصلون إلى معنى نبيل من المعانى التى سبق لهم أن قرءوها فى الكتب ، والآن لقد حان الوقت كى يتعلموا ذلك من خلال خبرتهم فى الحياة . وأيضا من خلال مغامراتهم المثيرة . ولهذا السبب حاور الفارس النادر التنين بلباقته قبل أن يواجهه حتى إذا وصل الحوار إلى طريق مسدود كان عليه أن ينازله وأن يتكلم السيف النبيل . بعد أن فشلت لغة الحوار .

هنا تساءل شريف :

ـ هل أوشكت الرحلة على الانتهاء ؟

مطت مها شفتيها وقالت :

ـ لقد عبرنا بوابات المستحيل ونحن الآن فى بلاد المعادن النفيسة .

اندهش طارق وهو ينظر حوله ، كان المنظر غريبا فهناك من حولهم انتشرت المعادن النفيسة كأنهم فى مغارة على بابا ، صاح :

ـ فعلا ، انظروا . . ياله من منظر مثير !!

وقبل أن ينحنى ليلمس الأرض الجبلية المصنوعة من المعادن النفيسة صاح العجوز :

ـ حذار ياطارق . . لم نأت من أجل المعادن!!

أكمل كريم : بل جئنا من أجل ماهو أغلى من المعادن . . الكلمة الضائعة .

ابتسم العجوز مجددا وقال :

ـ الناس فى كل العصور غارقون فى لغة المال والذهب ولكنهم فى حاجة إلى لغة المعانى . . ولذا جئنا هنا . .

هتف شريف :

ـ لكنه ذهب نقى . . سوف آخذ منه . .

وبدا الجشع على وجهه . .

(٥٤)

وقبل أن ينحنى لمع الذهب فجأة وسط شعاع انعكس من سيف الفارس النادر الذى انسلخ فجأة فكاد أن يخطف بصره . .

بدا الفارس وكأن الغضب قد اعتلى وجهه وهو ينظر إليه .

أحس الرفاق الأربعة أن شيئا جسيما كاد أن يحدث . . فتراجعوا إلى الخلف وردد شريف :

ـ معذرة . . لم يكن يقصد . .

قال « الفارس النادر » : هل نسيتم ما أوصى به الرسول الله عليه وسلم أن جهاد النفس أشد من جهاد الأعداء .

تمتم كريم : الجهاد الأكبر . . والجهاد الأصغر . .

وراح الأربعة يخفون وجوههم وقد أحسوا أنهم ارتكبوا شيئا مشتركا كاد أن يفسد عليهم مغامرتهم المثيرة . . فجأة سمعوا صوت العجوز يقول وقد بدت البشاشة على لكنته :

ـ رائع . . لقد وصلنا إلى المعنى . . المعنى دائما فى الكلام الذى نقوله . .

وانطلقوا معا يصيحون :

ـ هائل . . لقد نجحنا !! لقد نجحنا !!

قالت مها : بل نجحنا نحن أعضاء فريق « الصباح » .

رد شريف : لا . . بل نحن أعضاء فريق « النهضة » . .

ابتسم العجوز وتمتم : ليس هنا وقت للمنافسة . . علينا أن

نعـود إلى المدينـة . . فقد اقترب مـوعـد المسـابقة القـوميـة . . وسوف . .

قاطعت مها : هل كسبنا . ؟

رد العجوز : لم يكسب أحد بعد . . لقد جئنا هنا لنكتشف المعنى . . والمكسب . . والمكسب أيضا معنـى من المعانى . . كما أن الخسارة معنى . . المهم أن الكلمة موجودة الآن . .

تساءل كريم :

ـ اين هى . . ؟

(٥٥)

رد العجـوز : الكلمـة فيكـم أنتـم . . فى الإنسـان . . وقـد عادت الآن إلى المدينة . . هيا بنا كى نعود . .

تمتم طارق :

ـ لكن الرحلة طويلة . .

رد العجوز قائلا :

ـ لا ، ما أقصر رحلة العودة . . هيا بنا . .

وطوال رحلة العودة لم يكن هناك سوى الوعد والوعيد بين ممثلى أعضاء الفريقين من أن الجولة ستكون حاسمة هذه المرة . .

(٥٦)

رغم الغيظ الشديد الذى أحس به « الشبح الأزرق » فإنه وقف يتكلم عن طريق شاشته العجيبة ويقول :

ـ ولو . . لقد كسبوا جولة . لكن أمامنا جولات . . فإذا كانت الكلمة قد عادت . . فغدا سوف تختفى أشياء كثيرة . . ثمينة للغاية .

ترى ماذا سيختفى ؟

تلك مغامرات مثيرة أخرى من حكايات الفنطازيا .

رقم الايداع : ١٩٩٦/٧٨٩٠
I.S.B.N. 977 - 09 - 0341 - 8

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى - ت:٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

خيال × خيال

اقرأ في هذه السلسلة

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]